منهج الإمام أَبي حَيّانِ الأَنْدَلُسِي
في الترجيحات الفِقهيَّة
من خِلال كتابِه "البَحْرِ المحِيط في التَفْسِير"

إعداد

فاطمة طاهر طاهر صميلي

كلية الشريعة والقانون -جامعة جازان-

المملكة العربية السعودية

منهج الإمام أَبي حَيّانِ الأَنْدَلُسِي في الترجيحات الفِقهيَّة من خِلال كتابِه "البَحْرِ المحِيط في التَفْسِير"

فاطمة طاهر طاهر صميلي

قسم التفسير وعلوم القرآن كلية الشريعة والقانون -جامعة جازان- المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : Fsomaili@jazanu.edu.sa

الملخص :

الحمد لله رب العاملين والصلاة والسلام على سيدنا محمد، فهذا بحث بعنوان: (منهج الإمام أبي حيان الأندلسي في الترجيحات الفِقهيَّة من خِلال كتابِه "البَحْرِ المحِيط في التَفْسِير" ومنهج البحث في ترجيحاته يُجلِّي للباحثين طَريقتَه في التَّفقُّه، ومنهجَه العِلمي في الفتوى والاسْتِنبَاط، لا سيَّما وأنَّه قد جمعَ بين عِلمَي الحديثِ والفِقهِ، وبَرَزَ حرصُه في الترجيح المُستَنِدِ على الدَّليل، ونقدِ النُّقولِ، وتحقيقِ الأقوالِ مع اليُسرِ في العبارة، والبُعدِ عن التَّكلُّف والتَّعقيد، واهتمام الفُقَهاء -على اختلاف مذاهبهم، في سائرِ الأزمان- بنَقْلِ فِقه الإمام أبي حيان، مما يدلُّ على أهميَّتِها ومكانتها العِلمية، شأنُها شأنُ صاحبِها الإمامِ أبي حيان رحمه الله؛ حيث يُعَدُّ مُجتهِدًا مُستنِدًا إلى الدَّليل، يُخالف في بعضِ مَسائلِه رأيَ الإمامِ وما عليه المعتَمَدُ من المذهبِ.

الكلمات المفتاحية : أبو حيان – الترجيحات – المنهج – الفقهية

The approach of Imam Abu Hayyan al-Andalusi in **jurisprudential weightings through his book "The Sea of the Ocean in Tafsir"**

Fatima Taher Taher Samili
Department of Interpretation and Quranic Sciences, College of Sharia and Law, Jazan University, Saudi Arabia
Email : **Fsomaili@jazanu.edu.sa**

Abstract :
Praise be to God, the Lord of the workers, and blessings and peace be upon our master Muhammad. This is a research entitled: "Abu Hayyan al-Andalusi and his methodology for jurisprudential weighting through his book" Al-Bahr Al-Muhait in Tafseer "and the method of research in his weights is clear to the researchers, and his methodology is clear to the researchers. He combined the two sciences of hadith and jurisprudence, and highlighted his eagerness in the weighting based on evidence, criticism of transmission, verification of sayings with ease in the phrase, and the distancing from sophistication and complexity, and the interest of the jurists - for the difference of their doctrines, the son of the imams in the past Its importance and scholarly position is the same as that of its companion, Imam Abi Hayyan, as he is considered a mujtahid based on evidence, and in some of his issues contradicts the opinion of the imam and what is adopted by the school of thought.

key Words : Abuhan - Weights - Approach - Jurisprudence

المُقَدّمَةُ

إنَّ الحمد لله، نحمــدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونَعوذ بالله مــن شُــرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شــريك لــه، وأشــهد أنَّ مُحَمَّــدًا عبــده ورسوله ﷺ.

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وفي الحديث: عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلاَ تَزَالُ هَذِهِ الأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ".

أمَّا بعــدُ:

فلا غرو أن الفِقه الإسلامي هو عصارة المذاهب التشريعية، ووليــد أفهام الأئمة في كل العصور والأمصار، ويُعد من أشرف العلوم، والمعــين الذي حفظ للأمة الإسلامية وجودها بين الأمم على اختلاف العصور، ومــن هؤلاء الأعلام، الإمام (أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علــي بــن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(٦٥٤- ٧٤٥ هــ، ١٢٥٦ - ١٣٤٤ م) -رحمه الله- الذي قال عنه الإمام الذهبي:"حجة العــرب، وعــالم الــديار المصري"، ترك أبو حيان ثروة هائلة من المؤلفات، منها: إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب(مطبوع)، و البحر المحيط وهو تفســير (مطبــوع)، والتذييل والتكميل في شرح التسهيل، وتقريب المقــرب لابــن عصــفور، واللمحة البدرية في علم العربية (مطبوع)، ومنهج السالك في الكــلام علــى ألفية ابن مالك (مطبوع)، وارتشاف الضرب من لسان العرب (مطبوع).

أهميَّة الموضوع:

١-أهمية كتاب (البحر المحيط) في التفسير، وغزارته العلمية والمعرفية، وقوة منهجه، وكثرة فوائده، واحتوائه على علوم شتى في التفسير، والقراءات، والحديث، والفقه، والأصول، واللغة، وغير ذلك من العلوم؛ فكان من أَجَلّ كتب التفسير، وأعلاها شأناً.

٢-تميز البحر المحيط بالجمع بين علمي التفسير والفقه، وبيان أثر العلوم المختلفة في ترجيحات أبي حيان الفقهية، وظهر ذلك جلياً في الترجيح المدموغ بالدليل، وتحقيق الأقوال وتحريرها، مع السهولة في العبارة، والبعد عن الشطط والتعقيد.

٣- ما أورده أصحاب التراجم، من أن أبا حيان تردد في مذهبه بين الظاهرية والشافعية، مما كان له أكبر الأثر في منهجه في الترجيحات الفقهية.

٤-إن مثل هذا النوع من البحث والدراسة، يربط الباحث بتراثه، والنظر فيه بتأمل وروية، من أجل بناء باحث له قدم راسخة في تخصصه.

ثانيًا: أسبابُ اختيار الموضوع: تَتعدَّدُ الأسباب المتعلِّقة باختيار الموضوع؛ ومن أهمِّها ما يَلي:

١- مكانة وقيمة كتاب (البحر المحيط) في التفسير، ومنزلته الرفيعة، وتميزه بالفوائد والدرر واللطائف، وتحرير الأحكام الفقهية، وطريقة العرض المبدعة، والتنظيم الدقيق الملائم للعصر.

٢- بيان منهج أبي حيان في الترجيحاتُ الفِقهيَّة؛ نَظرًا لما تُمَثِّله تلك الترجيحات من قيمةِ فِقهيَّةٍ كبيرة، في المذهبِ الظاهري.

٣- تميز أبي حيان الأندلسي في كتابه البحر المحيط بمنهج سليم، وأسلوب قويم، يتسم بدقة العبارة، وجودة التنظيم، وحسن العرض، والتحرير، والتعليق، مع اعتماده الدليل في الاختيار والترجيح.

٤- تمثل هذه الترجيحات قيمةِ فِقهيَّةٍ كبيرة، في المذهبِ الظاهري، وغيره، من خلال:(ترجيحات الإمام أبي حيان الأندلسي الفقهية في كتاب البحر

المحيط)، وإثراء المكتبة الإسلامية، وإفادة الواقع المعاصِر، لا سيَّما ما يُوجد فيها من جوانبِ التَّيسير في الشَّريعةِ الإسلاميَّة.

أهدافُ البحث: يسعى البحثُ إلى تحقيق الأهداف التَّالية:

١-بيان قيمة ترجيحات الإمام أبي حيان -رحمه الله-الفقهية.

٢-مدى موافقة الإمام أبي حيان الأندلسي للمذهب الظاهري في آرائه وترجيحاته الفقهية من عدمه.

٣- تسليط الضوء على أهمية منهجه في الترجيحات.

٤-كيفية الإفادة من تراث الإمام من خلال ترجيحاته في المستجدات الفقهية المعاصرة.

حدود البحث:

تنحصرُ حُدود هذا البحث في تبيان منهج أبي حيان في ترجيحاتِه الفِقهيَّة، وذلك من خلالِ كتابه: "البحر المحيط ".

خامسًا: الدِّراسات السابقة:

تُعَدُّ أبرزُ الدراساتِ ذاتِ الصِّلَةِ بموضوع البحث -فيما وَقَفْتُ عليه-، من خلال البحث والتَّحرِّي عَبْرَ فهارس المكتبات، ومراكز المعلومات، والإفادات المختلفة من الجامعات السعودية، فضلًا عن الشبكة العنكبوتية؛ في هذا الموضوع (الترجيحات الفقهية للإمام أبي حيان الأندلسي في كتاب البحر المحيط)، مجموعة رسائل تتعلق بكتابه البحر المحيط في التفسير، وأيضا بترجيحاته واختياراته في عدة علوم كالحديث والعقيدة والقراءات.

سادسًا: منهجُ البحث:

إن شاء الله-؛ سوفُ أَتَّبِعُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج المقارن، حيث تقوم الباحثة على استقراء منهج ترجيحات الإمام أبي حيان الفقهية في كتاب (البحر المحيط).

وحرصت على أن ألتزم بالآتي:

١-تتبُّع وبيان منهجية أبي حيان في ترجيحاته من خلال كتابه "البحر المحيط.

٢-أكتبُ الآيات القُرآنية الواردة في ثنايا البحث بالرَّسمِ العُثماني، وأضعها بين قوسين مزهَّرين ﴿ ﴾، ثم أَعزُوها بذكر اسمِ السُّورة، ورقم الآية.

٣-أُخرِّجُ الأحاديثَ والآثارَ الواردةَ في ثنايا البحث؛ وفق الآتي:

٤-توثيق المعاني اللُّغوية من معاجم اللُّغة المعتمَدَةِ.

٥-أضبطُ الألفاظ الغامضة والغريبة بالشَّكل؛ وبخاصَّة التي يترتَّبُ على عَدمِ ضبطِها حدوثُ شيء من اللَّبس، أو الاحتمال، ثم أُبيِّنُ معانيها باختصار بما يُجلِي غموضَها.

٦-عزُو نصوص العلماء إلى مَصادرها الأصلية مباشرة، ولا ألجأُ إلى المراجع الوَسيطةِ؛ إلَّا عند تَعذُّرِ الوصول إلى الأصل، وفي هذه الحالة أذكر أقدَمَ كتابٍ ذُكِرَ فيه النَّصُّ أو الرَّأي.

٧-ترجمُ للأعلام الذين تَرِدُ أسماؤهم في صُلب البحثِ بإيجازٍ (بذِكر اسمه، ونَسَبِه، ومولده، وتاريخ وفاته، ومذهبه، وكتابٍ واحدٍ أو اثنين من مؤلَّفاته، ونُبذة مُوجَزَة عنه)، وذلك في أول موضع يَرِدُ فيه ذِكر العَلَمِ، ما عَدا الخُلفاء الراشدين الأربعة، وأئمة المذاهب الفِقهيَّة الأربعة، والأعلام المعاصرين ممَّن لا زَالوا على قيدِ الحياة.

٨-أختمُ بحثي بنتائج البحث وأهم التوصيات.

ثامنًا: خِطَّةُ البحثِ: تشتمل خطة البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وثبت المصادر والمراجع، والفهرس.

المقدمة: وفيها أهميةُ الموضوعِ وأسباب اختياره، وأهدافُ البحثِ وحُدوده، والدِّراسات السَّابقة، ومنهج البحثِ، وخُطَّةُ البحثِ.

المبحث الأول: التَّعريف بالإمام أبي حيان الأندلسي، وكتابِه البحر المحيط، ومنهجه فيه،

وفيه ستة مَطَالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ونشأته.

المطلب الثاني: عقيدته ومذهبه الفقهي

المطلب الثالث: شيوخه، وتلاميذه.

المطلب الرابع: كتبه، وآثاره العِلميَّة.

المطلب الخامس: وفاته، وثناء العُلماء عليه.

المبحث الثاني: التَّعريف بكتاب: البحر المحيط، ومنهج الإمامِ أبي حيان فيه.

وفيه خمسة مَطَالب:

المطلب الأول: نسبة الكتاب لأبي حيان الأندلسي.

المطلب الثاني: التَّعريف بكتاب: البحر المحيط في التفسير، وبيان أهميته، ومحتواه.

المطلب الثالث: منهج الإمام في كتاب البحر المحيط في التفسير.

المطلب الرابع: القِيمةُ العلميَّة للكتاب، والمآخِذ عليه.

المطلب الخامس: مصادر أبي حيان الأندلسي الفقهية في كتابه البحر المحيط.

المبحث الثالث: تعريف الترجيح والألفاظ المتصلة به، ومصطلحات الترجيح عند أبي حيان الأندلسي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الترجيح لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مصطلحات الترجيح عند الإمام أبي حيان الأندلسي

وفي الختام..

فهذا بحثي أقدمه – بعد جهد مبذول فيه –، جمعت فيه كل ما يتعلق بمنهج الإمام أبي حيان الأندلسي في الترجيحات الفقهية بعد تتبع كتاب" البحر المحيط" ومقابلته بمصنفات أخرى في المذهب، أسأل الله تعالى أن يمدني بعون من عنده، وتوفيق من فضله، وإخراج هذا العمل على الوجه الذي يُرضي الله عز وجل ، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي حيان الأندلسي

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ونشأته

اسمه: مُحَمَّد بن يُوسُف بن عَلِيّ بن يُوسُف بن حَيَّان الشَّـيْخ الإِمَـام الْحَافِظ الْعَلامَة فريد الْعَصْر وَشَيخ الزَّمَان وَإِمَام النُّحَاة أثير الدّين [1].

كنيته: أَبُو حَيَّان، وهذه الكنية اشتهر بها جماعة مـنهم أبـو حيـان التوحيدي البغدادي الأديب المتوفى سنة (٤٠٠ هـ)، وقد يلتبس التوحيـدي بالأندلسي، ولكن هذا غير هذا.

نسبه: مجموع ما ذكره مَن ترجم لأبي حيان من المؤلفين في نسـبته هو: الغِرْنَاطي[2]، الأندلسـي[3]، النَّفْـري[4]، المصـري[5]، النحـوي[6]، المغربي[7]، الحَيَّاني[8]، الجَيَّاني[9]، الأثري[1]، الشـافعي[2]، الظـاهري[3]، المالكي[4].

---

(١)الوافي بالوفيات للصفدي (١٧٦/٥).

(٢)**الغَرناطي:** بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون بعدها الألف وفي آخرها الطاء المهملة، هذه النسبة إلى غرناطة. الأنساب للسمعاني (٢٨/١٠).

وغرناطة: بالإسبانية (Granada) هي مدينة وعاصمة مقاطعة غرناطة في منطقة أندلوسيا جنوب إسبانيا تقع بمحاذاة جبال سييرا نيفادا، عند نقطة التقاء نهري هَدَّرُه وسَنْجِل، وعلى ارتفاع ٧٣٨ متراً فوق سطح البحر. يبلغ عدد سكانها حوالي ٢٤٠,٠٩٩ نسمة، يعمل معظمهم في قطاع الزراعة والسياحة. وتعني الرمانة. وقد سميت كذلك لجمالها، ولكثرة حدائق الرمان التي تحيط بها، وكذلك في معجم ياقوت حيث يقول إن معنى غرناطة "الرمانة" بلسان عجم الأندلس (الهسبانية) سمى البلد كذلك لحسنه. بعضه من معجم البلدان لياقوت الحموي (١٩٥/٤).

(٣) **الأندلسي**: نسبة إلى الأندلس؛ لأنه ولد ونشأ في بلاد الأندلس وعاش بها في أول حياته قبل رحلته، واستقراره في مصر.

(٤) **النَّفْزي**: هذه النسبة ذكرها لأبي حيان الصفدي في الوافي (١٧٥/٥)، وابن حجر في الدرر الكامنة(٥٨/٦)، بالفتح ثم السكون، وزاي: مدينة بالمغرب بالأندلس، وقال السلفي: نفزة، بكسر النون. معجم البلدان لياقوت الحموي (٢٩٦/٥).

(٥) **المصري**: نُسب أبو حيان لمصر؛ لأنه عاش فيها أكثر عمره، ومات بها رحمه الله تعالى.

(٦) **النحوي**: نسب أبو حيان رحمه الله تعالى هذه النسبة (النحوي) من أجل براعته في النحو وتقدمه في هذا العلم حتى صار من أعلم أهل زمانه بالنحو.

(٧) **المغربي**: هذه النسبة لأجل أن بلاد الأندلس كانت تعتبر ضمن بلاد المغرب.

(٨) **الحياني**: نسبة إلى جده الأكبر حيان. وهذه النسبة ذكرها له الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة (٥٨/٦).

(٩) **الجياني**: بفتح الجيم وتشديد الياء، وهذه النسبة ذكرها له الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة =

لقبه: لقبُ أبي حيان هو "أثير الدّين" كذا لقبه بهذا اللقب كل من ترجم له من المؤلفين.

مولده:

قال تاج الدين السبكي – رحمه الله تعالى –: مولده بمطخشارش وَهِي مَدِينَة مسورة من أَعمال غرناطة(٥)، فِي أخريات شَوَّال سنة أَربع وَخمسين وسِتمِائَة من الهجرة (٦)، وهذا التاريخ الهجري يوافق سنة ست وخمسين ومائتين وألف من الميلاد.

وصفه: كان رحمه الله تعالى حسن الْعِمَّة مليح الْوَجْه ظَاهر اللَّوْن مشرباً حمرَة منور الشيبة كَبِير اللِّحْيَة مسترسل الشّعْر فِيهَا لم تكن كثة(٧).

قال الرعيني– رحمه الله تعالى –: وهو شيخ فاضل، ما رأيت مثله، كثير الضحك والانبساط، بعيد عن الانقباض، جيد الكلام، حسن اللقاء، جميل

=

(٥٨/٦). وهي نسبة إلى "جيان" حيث كان والده يعيش فيها وهي بلدة بينها وبين قرطبة قرابة ٨٠ كيلو متر، معجم البلدان لياقوت الحموي (١٩٥/٢).

(١) **الأثري:** نسبة إلى كونه يتبع الآثار ولا يحيد عنها، أي يلتزم بالسنة.

(٢) **الشافعي:** نسبة للمذهب الشافعي الذي كان أبو حيان يتمذهب به، بعد أن كان على المذهب الظاهري.

(٣) **الظاهري:** حيث كان أبو حيان رحمه الله تعالى في أول أمره يعتنق المذهب الظاهري، قبل اعتناقه مذهب الشافعي.

(٤) **المالكي:** نسبة لمذهب الإمام مالك رحمه الله، ولم يعتنقه أبو حيان، ولكن نسب إليه باعتبار أن بلاد المغرب كلها كلى المذهب المالكي، وهو من بلاد المغرب فنسب إليه.

(٥) هي حي من أحياء مدينة غرناطة، وليست مدينة مستقلة.

(٦) طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٢٧٧/٩)، وانظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) (٥٣٤/١)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبي الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ) (٢٥١/٨).

(٧)الوافي بالوفيات للصفدي (١٧٦/٥).

المؤانسة، فصيح الكلام، طلق اللسان... له وجه مستدير، وقامته معتدلة التقدير، ليس بالطويل ولا بالقصير، انتهى ما لخصته من كلام الرعيني(١).

وقال لسان الدين ابن الخطيب– رحمه الله تعالى –: "كان شديد البسط، مهيبا، جهوريا، مع الدّعابة والغزل، وطرح السّمت، شاعرا مكثرا، مليح الحديث، لا يملّ وإن أطال"(٢).

نشأته:

عاش أبو حيان رحمه الله تعالى في "الأندلس" قرابة خمسة وعشرين عامًا وذلك من سنة (٦٥٤ هـ) إلى سنة (٦٧٩ هـ) وهذه الفترة من الزمن كانت الحياة في الأندلس. غير مستقرة وليست آمنة بسبب الحروب المستمرة، بين المسلمين والنصارى، وسيأتي تفصيل ذلك في " الحالة السياسية، وأثرها على أبي حيان الأندلسي".

ونشأ أبو حيان رحمه الله تعالى مُحبًا للعلم، وهذه المحبة جعلته يطوف البلاد من أجل تحصيل العلم في فنون مختلفة:

وقد بدأ أبو حيان حياته بالقرآن الكريم حفظا ودراسة فقرأه على الخطيب عبد الحق بن على إفرادًا وجمعا ثم على الخطيب أبى جعفر بن الطباع، ثم على الحافظ أبى على بن أبى الأحوص بمالقة والـمَّ رحمه الله بالقراءات صحيحها وشاذها.

يقول –رحمه الله– واصفاً حاله في طلب العلم وكيف كان حرصه على تحصيله:

" وما زلت من لدن ميزت أتلمذ للعلماء، وأنحاز للفهماء، وأرغب في مجالسهم، وأنافس في نفائسهم، وأسلك طريقهم، وأتبع فريقهم، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام، ولا أتوقل إلا ذروة علام، فكم صدر أودعت علمه صدري، وحبر أفنيت في فوائده حبري، وإمام أكثرت به الإلمام، وعلام

(١) نفح الطيب لشهاب الدين التلمساني (٥٦٥/٢).

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين (٢٨/٣).

أطلت معه الاستعلام، أشنف المسامع بما تحسد عليه العيون، وأذيل في تطلاب ذلك المال المصون، وأرتع في رياض وارفة الظلال، وأكرع في حياض صافية السلسال، وأقتبس بها من أنوارهم، وأقتطف من أزهارهم، وأبتلج من صفحاتهم، وأتأرج من نفحاتهم، وألقط من نثارهم، وأضبط من فضالة إيثارهم، وأقيد من شواردهم، وأنتقي من فرائدهم. فجعلت العلم بالنهار سحيري، وبالليل سميري"(١).

وقال الصفدي رحمه الله تعالى -: " وَطلب وَحصل وَكتب وَقيد وَلم أر فِي أشياخي أَكثر اشتغالاً مِنْهُ لِأَنِّي لم أره إِلَّا يسمع أَو يشْتَغل أَو يكْتب وَلم يكْتب وَلم أره على غير ذَلِك"(٢).

المطلب الثاني: عقيدته ومذهبه الفقهي

أولاً: عقيدته:

كانت عقيدة أبي حيان هي عقيدة أهل السنة والجماعة، إلا في الصفات فإنه كان على طريقة الأشاعرة كما هو واضح من خلال تفسيره البحر المحيط.

قال الأدفوي – رحمه الله تعالى -: "كان ثبتا صدوقا حجّة، سالم العقيدة من البدع الفلسفية والاعتزال والتجسيم"(٣).

ومما يدل على أنه لم يكن يرى آراء الفلاسفة ما قاله في كتابه البحر المحيط: " ولما حللت بديار مصر ورأيت كثيراً من أهلها يشتغلون بجهالات الفلاسفة ظاهراً من غير أن ينكر ذلك أحد، تعجبت من ذلك، إذ كنا نشأنا في جزيرة الأندلس على التبرؤ من ذلك والإنكار له، وأنه إذا بيع كتاب في المنطق إنما يباع خفية، وأنه لا يتجاسر أن ينطق بلفظ المنطق، إنما يسمونه المفعل، حتى أن صاحبنا وزير الملك ابن الأحمر أبا عبد الله محمد بن عبد

(١) مقدمة البحر المحيط (ص ١١).
(٢)الوافي بالوفيات (٥/١٧٥).
(٣)شذرات الذهب (٨/٢٥١).

الرحمن المعروف بابن الحكيم كتب إلينا كتابا من الأندلس يسألني أن أشتري أو أستنسخ كتاباً لبعض شيوخنا في المنطق، فلم يتجاسر أن ينطق بـــالمنطق وهو وزير، فسماه في كتابه لي بالمفعل "(١).

ثانياً: مذهبه الفقهي:

كَانَ الإمام أبو حيان أولا يرى رَأْي الظَّاهِرِيَّة حين كان في الأنـــدلس فهذا المذهب كان هو السائد في بلادهم.

ولما نزل ديار مصر كان المذهب السائد عندهم هو المذهب الشافعي فاعتنقه أبو حيان وصار تابعًا للشافعية في مذهبهم (٢).

ولكنه رحمه الله تعالى بيَّن أن من تمذهب بالمذهب الظاهري فلـــيس من السهل أن ينساه بالجملة بل لابد من أن يبقى متأثرًا به فقال رحمـــه الله: "محَال أن يرجع عَن مَذْهَب الظَّاهِر من علق بذهنه"(٣).

وهذا واضح لمن طالع تفسيره البحر المحيط، فهو في الغالب يميـــل لإجراء النصوص على ظاهرها، وهذا يدل على أنه بقيت فيـــه بقيـــة مـــن المذهب الظاهري كما صرح هو بذلك رحمه الله تعالى رحمه واسعة.

(١) البحر المحيط (٤٧/٦).
(٢)الوافي بالوفيات (١٧٦/٥).
(٣) الدرر الكامنة لابن حجر (٥٩/٦).

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه

أولًا: شيوخه:

من خلال رحلات أبي حيان لكثير من البلاد؛ لتحصيل العلم في شتى الفنون والعلوم، التقى بكثير من العلماء، وجلس بين يدي كثير من الشيوخ المشاهير النُّجباء، قال هو عن نفسه: " وَجُمْلَة الَّذين سَمِعت مِنْهُم نَحْو من أَربع مائَة شخص وَخمسين وَأما الَّذين أجازوني فعالم كثير جدا من أهل غرناطة ومالقة وسبتة [١]. وديار إفريقية وديار مصر والحجاز وَالْعراق وَالشَّام"[٢].

وقال ابن حجر – رحمه الله تعالى – في الدرر الكامنة " وَأَكْثر من سَماع الحَدِيث حَتَّى بلغت عدَّة شُيُوخه أَرْبَعمِائَة وَأَجَازَ لَهُ جمع جم وَقد جمعهم فِي كتاب الْبَيَان فِي شُيُوخ أبي حَيَّان فبلغوا ألفا وَخَمْسمِائَة "[٣].

ثانيًا: تلاميذه:

لقد اشتهر أمر أبي حيان، وذاع صيته، حتى قصده الناس من كل حدب وصوب، وصار رحمه الله تعالى قِبْلَةَ العلماء والطلاب، يختلفون إليه للجلوس بين يديه؛ لينهلوا من وافر علمه في شتى العلوم (النحو، واللغة، والحديث، والتفسير، والمعاني، والبيان، والشعر) وغير ذلك، فقد تخرج به مئاتٌ من العلماء الأعلام الذين صاروا أئمة في مختلف الفنون والعلوم وأخذ عنه أيضًا أكابر عصره وتقدموا في حياته ، قال الحافظ الذهبي: " تخرج به عدة أئمة"[٤].

---

(١)سَبْتَةُ: بلفظ الفعلة الواحدة من الإسبات، أعني التزام اليهود بفريضة السبت المشهور، بفتح أوّله، وضبطه الحازمي بكسر أوّله: وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أجود مرسى على البحر، وهي على برّ البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البرّ والجزيرة، وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية على ما قيل. معجم البلدان لياقوت الحموي (١٨٢/٣).

(٢)الوافي بالوفيات (١٨٤/٥).

(٣)الدرر الكامنة (٦٤/٦).

(٤)معرفة القراء الكبار (ص ٣٨٧).

ومن هؤلاء:

١-إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعيد بن كامل بن علوان التنوخي البعلي الأصل الدمشقي المنشأ نزيل القاهرة ابن القاضي شهاب الدين الحريري أبو إسحاق وأبو الفداء ولد سنة ٧٠٩ أخذ القراءات العشر على أبي حيان، وصار شيخ الديار المصرية في القرآت والإسناد(١).

٢- قاضي القضاة بدر الدين بن الخشاب إبراهيم بن أحمد بن عيسى، القاضي المصري، مولده في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨ هـ، وكان فقيها بارعا محدثا، وبرع في الفقه وأفتى ودرس وأفاد، قرأ على «أبي حيان» القراءات السبع. توفي ٧٧٤ هـ (٢).

٣- برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن علي بن يحيى بن خلف المقرىء الحكري، اعتنى بالعربية والقرآت، ولازم درس الشيخ أبي حيان وأخذ الناس عنه في القرآت، مات في الطاعون العام في أواخر ذي القعدة سنة ٧٤٩ هـ(٣).

٤- شرف الدين أبو محمد صالح بن عبد الله، الصصري ابن بواب المدرسة القيمرية بدمشق، سمع بدمشق ومصر وحلب، وكتب وحصل، وتخرج، وسمع من خلق، وتلا بالسبع على أبي حيان، وتوفي رحمه الله تعالى في رابع شوال سنة ٧٤٨ هـ(٤).

٥- جمال الدين الحسين بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، الأخ أبو الطيب القاضي، ولد في رجب سنة ٧٢٢ هـ، قرأ النحو على أبي حيان أكمل عليه قراءة التسهيل، توفي يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة ٧٥٥ هـ(٥).

---

(١)الدرر الكامنة (٩/١)، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٧/١-٨).

(٢)المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ليوسف بن تغري بردي (٤٨/١)، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ لمحمد بن سالم محيسن (١٤٥/٢).

(٣) الدرر الكامنة (٣١/١).

(٤) أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (٥٤٦/٢)، والوافي بالوفيات (١٥٣/١٦).

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٤١١/٩).

المطلب الرابع: كتبه، وآثاره العلمية

الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى حصَّل في شتى العلوم والفنون ما أهله للكتابة في فنون العلم المختلفة كتابات صارت بها الركبان في أقطار الأرض، قال الإمام الذهبي: " صَاحِبُ التَّصَانِيفُ الْبَدِيعَةُ(١).

وفي الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى –: " وتصانيفه يزِيد على خمسين"(٢).

ومن هذه التصانيف كما في شذرات الذهب لابن العماد:

١-«البحر المحيط» في التفسير.

٢-«النهي وإتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب».

٣- «التذييل» و «التّكميل في شرح التسهيل».

٤-«مطوّل الارتشاف»، ومختصره مجلدان، ولم يؤلّف في العربية أعظم من هذين الكتابين، ولا أجمع، ولا أحصى للخلاف والأحوال منهما، قال السيوطي: وعليهما اعتمدت في كتابي «جمع الجوامع»، نفع الله به.

٥- «التّنحيل» الملخّص من «شرح التّسهيل» للمصنف وابنه بدر الدين.

٦- «والإسفار» الملخّص من شرح سيبويه للصّفّار.

٧- «التجويد لأحكام سيبويه».

٨- «التذكرة في العربية»، أربع مجلدات كبار.

٩- «والتقريب» في مختصر المقرّب.

١٠- «والتّدريب» في شرحه.

آثاره العلمية: لقد كان لأبي حيان رحمه الله تعالى الأثر العلمي الواضح في مصر في المدة التي قضاها بها، وقد مد الله تعالى في عمره، وبارك فيه، فكان لهذا عظيم الأثر في النّتاج العلمي الذي قدمه خلال فترة عمره، وهذه الآثار تتمثل في:

---

(١)المعجم المختص بالمحدثين للذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)" (ص ٢٦٧).

(٢)الدرر الكامنة (٦٤/٦).

آثاره العلمية في دروسه العلمية: مما كان له الأثر الكبير على مصر في الفترة التي قضاها أبو حيان بها أنه درس في أكبر المساجد بها، وأكبر المدارس، النحو، واللغة، والشعر، والفقه، والحديث، والتفسير والقراءات، وغير ذلك من العلوم الكثيرة التي برع فيها، وبلغ الغاية في تحريرها والإلمام بكل جزئياتها، مما جعلت دروسه قبلةً تيممها وقصدها كل الطلاب والعلماء من كل مكان.

آثاره العلمية في أسرته: لقد كان لأبي حيان الأثر العلمي الواضح في حياة أسرته العلمية: فزوجته كانت عالمة فاضلة، وقد كانت مقصِد طلاب العلم للقراءة عليها، وتحصيل الإجازة منها فقط قرأ عليها الإمام البرزالي(١) رحمه الله تعالى كما سيأتي في ترجمتها في المطلب الرابع من المبحث الأول.

وابنه حيان كان عالمًا فاضلًا يشبه أباه في العلم والفضل، وكان عالمًا بالقراءات وغيرها من العلوم.

وابنته نُضار كانت فقيهة شاعرة عابدة ناسكة، حتى كان أبوها يتمنى أن يكون أخوها حيان مثلها في العلم، وهكذا كان حفيده من أهل العلم والفضل.

---

(١)**البرزالي:** الْقَاسِم بن مُحَمَّد بن يُوسُف بن مُحَمَّد بن يُوسُف البرزالى علم الدّين أَن بهاء الدّين الدِّمَشْقِي الْحَافِظ ولد فِي جُمَادَى الأولى سنة ٦٦٥ واجاز لَهُ ابْن عبد الدَّائِم، وَابْن عزون، والنجيب وَابْن علاق، وَغَيرهم، واسمع صَغِيرا فِي سنة ٧٣ من أَبِيه، وَالْقَاضِي عز الدّين ابْن الصَّائِغ، ثمَّ أحب الطّلب، وَسمع بِنَفسِهِ وَدَار على الشُّيُوخ، وَأَكْثر عَن ابْن أبي الْخَيْر، وَالْمُسلم بن عَلان، وَابْن شَيبَان، وَالْفَخْر، والمقداد الْقَيْسِي، ورحل إِلَى حلب، وبعلبك، ومصر، والحرمين وَغَيرهَا، وَخرج لنَفسِهِ أَرْبَعِينَ بلدية، وَنقل ابْن كثير أَن ابْن تَيْمِية كَانَ يَقُول: نقل البرزالي نقر فِي حجر، وَخرج لنَفسِهِ وَلغيره، وتفقه بالشيخ تَاج الدّين الْفَزارِيّ، وجود القرآت على الرضى ابْن دبوقا، وَتقدم فى معرفَة الشُّرُوط، وَوَلى تدريس الحَدِيث بالنورية، والنفيسية، وَكتب الْخط الْجيد، وَبلغ عدد مشايخه بِالسَّمَاعِ أَلفي نفس، وبالإجازة أَكثر من أَلف، وجمعهم فِي مُعْجم حافل، كَانَ حسن الْوَجْه واللباس كثير التَّوَاضُع كريم النَّفس كثير الْحلم ضحوك السن يحْتَمل الْأَذَى ويغضى عَمَّن يغض مِنْهُ، وَمَات ذَاهِبًا إِلَى مَكَّة غَرِيبا فِي رَابِع ذِي الْحجَّة سنة ٧٣٩. الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر (٢٧٩/٤).

المطلب الخامس: وفاته، وثناء العلماء عليه.

أولًا: وفاته:

طالت الحياة بالإمام أبي حيان رحمه الله تعالى فتجاوز التسعين عامًا، قضاها متنقلاً من أرض إلى أرض، كما قاضها متنقلاً بين العلوم من فن إلى آخر، ولم تزل قدمه في أي موضع نزلت، وبارك الله في عمره؛ فوضع قرابة خمسين مصنفًا، ومات الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى بمنزله بالقاهرة عَشِيَّ يَوْمَ السَّبْتِ في الثامن عشر من صفر، سنة (٧٤٥) ودفن بمقبرة الصّوفية، رحمه الله تعالى"[١].

صلاة أهل دمشق عليه صلاة الغائب **قال الصفدي رحمه الله تعالى:** "وَتُوفِّي رَحمَه الله تَعَالَى فِي ثامن عشري صفر سنة خمس وَأَرْبَعين وَسَبْعمائة وَصلي عَلَيْهِ بِجَامِع دمشق صَلَاة الْغَائِب فِي شهر ربيع الأول[٢].

رثاؤه:رثاه تلميذه الوفي الصفدي رحمه الله فقال: وَقلت أَنا فِي رثائه:

مَاتَ أثير الدّين شيخ الورى ... فاستعر البارق واستعبرا

ورق من حزن نسيم الصِّبَا ... واعتل فِي الأسحار لما سرى"[٣].

ثانيًا: ثناء العلماء عليه:

قال الصفدي – رحمه الله تعالى -: الإِمَام الْحَافِظ الْعَلامَة فريد الْعَصْر وَشَيخ الزَّمَان وَإِمَام النُّحَاة ... وَلم أر فِي أشياخي أَكثر اشتغالاً مِنْهُ لِأَنِّي لم أره إِلَّا يسمع أَو يشْتَغل أَو يكْتب وَلم يكْتب وَلم أره على غير ذَلِك ... وَله الموشحات البديعة وَهُوَ ثَبت فِيمَا يَنْقُلهُ مُحَرر لما يَقُوله، عَارِف باللغة ضَابِط لألفاظها، وَأما النَّحْو والتصريف فَهُوَ إِمَام الدُّنْيَا فيهمَا لم يذكر مَعَه فِي أقطار الأَرْض غَيره فِي الْعَرَبيَّة، وَله الْيَد الطولي فِي التَّفْسِير، والْحَدِيث، والشروط، وَالْفُرُوع، وتراجم النَّاس، وطبقاتهم، وتواريخهم، وحوادثهم،

(١)المعجم المختص (ص ٢٦٧)، الوافي بالوفيات (١٨٥/٥)، والدرر الكامنة (٦٥/٦).

(٢) الوافي بالوفيات (١٨٥/٥).

(٣) الوافي بالوفيات (١٨٥/٥).

خُصُوصا المغاربة وَتَقْيِيد أسمائهم على مَا يتلفظون بِهِ من إمالـــة وتـــرخيم وترقيق وتفخيم؛ لأَنهم مجاورو بِلَاد الفرنج وأسماؤهم قريبَة وألقابهم كَـــذَلِك كل ذَلِك قد جوده وَقَيده وحرره ... وَله التصانيف الَّتِي سَـــارَتْ وطـــارت وانتشرت وَمَا انتثرت، وقرئت ودريت وَنسخت وَمَا فسخت، أخملت كتـــب الأقدمين، وألهت المقيمين بِمصْر والقادمين، وَقَرَأَ النَّاس عَلَيْهِ وصاروا أَئِمَّة وأشياخاً فِي حَيَاته[1].

وقال الصفدي أيضًا وهو يكتب له يطلب منه يجيزه بما معـــه مـــن إجازات في شتى العلوم: " ... الشَّيْخ الإِمَام الْعَالم الْعَامِل الْعَلامَـــة، لِسَـــان الْعَرَب، ترجمان الْأَدَب، جَامع الْفَضَائِل، عُمْدَة وَسَائِل السَّائِل، حجَّة المقلدين، زين المقلدين، قطب المولين، أفضل الآخرين، وَارِث عُلُوم الْأَوَّلين، صَاحب الْيَد الطُّولى فِي كل مقَام ضيق والتصانيف الَّتِي تَأْخُذ بِمَجَامِع الْقُلُوب فَكل ذِي لب إِلَيْهَا شيق، والمباحث الَّتِي أثارت الْأَدِلَّة الراجحة من مكـــامن أماكنهـــا، وقنصت أوابدها الجامحة من مواطئ مواطنها، كشاف معضـــلات الْأَوَائِـــل سباق غايات قصر عَن شأوها سحبان وَائِل فارع هضبات البلاغة فِي اجتلاء اجتلابها وَهِي فِي مرقى مرقدها سالب تيجان الفصاحة فِي اقْتِضَاء اقتعابهـــا من فرق فرقدها حَتَّى أبرز كَلَامه جنان فضل جنان من بعده عَـــن الـــدُّخُول إِلَيْهَا جبان وأتى ببراهين وُجُوه حورها لم يطمثهن إنس قبله وَلَا جَان وأبدع خمائل نظم ونثر لَا تصل إِلَى أفنان فنونها يَد جَان أثير الـــدّين أبـــي حَيَّـــان مُحَمَّد"[2].

وقال ابن العماد – رحمه الله تعالى –: " نحـــوي عصـــره ولغويّـــه ومفسّره ومحدّثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه"[3].

---

(١)الوافي بالوفيات صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (١٧٥/٥).

(٢)الوافي بالوفيات (١٨٢/٥).

(٣)شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـــ) (٢٥١/٨).

وقال الإمام الذهبي– رحمه الله تعالى –: " الإِمَامُ الْعَلاَمَةُ، ذُو الْفُنُونِ، حُجَّةُ الْعَرَبِ، أَبُو حَيَّانَ الأَنْدَلُسِيُّ الْجِيَانِيُّ ثُمَّ الْغِرْنَاطِيُّ الشَّافِعِيُّ، عَالِمُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، وَصَاحِبُ التَّصَانِيفُ الْبَدِيعَةُ (١).

وقال الحافظ الذهبي أيضًا: " العلامة الأوحد... المقرئ النحوي...ومع براعته الكاملة، في العربية، له يد طولى في الفقه والآثار، والقراءات، وله مصنفات في القراءات والنحو، وهو مفخر أهل مصر في وقتنا في العلم، تخرج به عدة أئمة مد الله في عمره وختم له بالحسنى، وكفاه شر نفسه"(٢).

المبحث الثاني: التعريف بكتاب: البحر المحيط، ومنهج الإمام أبي حيان فيه

المطلب الأول: التعريف بكتاب: البحر المحيط، وبيان أهميته، ومحتواه.

لقد صنفَّ الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى العديد من المؤلفات، التي انتشرت في حياته قبل مماته، وتلقاها الناس بالقبول والرضى...وكان من أهم تلك المؤلفات كتابه "التفسير المحيط" وهو موضوعنا في هذا المبحث، وهذا الكتاب قد التف الناس حول مائدته يغرفون منه ما أودعه فيه مصنفه رحمه الله تعالى من علوم وفنون مختلفة، مع التحرير والتنقيح، والترجيح بين الأقوال والأدلة.

وكتاب "البحر المحيط" ألفه أبو حيان الغرناطي، إبّان إقامته في مِصْرَ بعد أن جاوز الخمسين من عمُرُه. يُعد الكتابُ المرجعَ الأهم لمن أراد الوقوفَ على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم ودقائق مسائله النحوية؛ فأبو حيان يتكلم في كتابه على المعاني اللغوية للمفردات ذاكرًا أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات مع توجيهها، وهو لا يفضل الناحية البلاغية في القرآن، ولا يهمل الأحكامَ الفقهية عندما يمر بآيات الأحكام. ذاكرًا ما جاء عن السلف، ومن تقدمه من الخلف.

(١)المعجم المختص بالمحدثين للذهبي (ص ٢٦٧).

(٢)معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي (ص ٣٨٧).

ولقد اشتغل أبو حيان زمناً مديداً بخدمة القرآن وعلوم اللغة والحديث، والفقه، والأصول، والبيان، والمعاني، حتى قارب الستين من عمره ثم تفرغ لتفسير القرآن بعد أن حصل أدوات المفسر العالم الذي أدرك ما به سعادته الأبدية.

سبب تأليف كتاب البحر المحيط:

قال أبو حيان مبيناً سبب تأليف كتابه "البحر المحيط": " وما زال يختلج في ذكري، ويعتلج في فكري، أني إذا بلغت الأمد الذي يتغضد فيه الأديم، ويتنغص برؤيتي النديم، وهو العقد الذي يحل عرى الشباب، المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين، فإياه وإيا الشواب، ألوذ بجناب الرحمن، وأقتصر على النظر في تفسير القرآن، فأتاح الله لي ذلك قبل بلوغ ذلك العقد، وبلغني ما كنت أروم من ذلك القصد، وذلك بانتصابي مدرسا في علم التفسير في قبة السلطان الملك المنصور، قدس الله مرقده، وبل بمزن الرحمة معهده، وذلك في دولة ولده السلطان القاهر، الملك الناصر، الذي رد الله به الحق إلى أهله، وأسبغ على العالم وارف ظله، واستنقذ به الملك من غصابه، وأقره في منيف محله وشريف نصابه، وكان ذلك في أواخر سنة عشر وسبعمائة، وهي أوائل سنة سبع وخمسين من عمري، فعكفت على تصنيف هذا الكتاب، وانتخاب الصفو واللباب، أجيل الفكر فيما وضع الناس في تصانيفهم، وأنعم النظر فيما اقترحوه من تآليفهم، فألخص مطولها، وأحل مشكلها، وأقيد مطلقها، وأفتح مغلقها، وأجمع مبددها، وأخلص منقدها، وأضيف إلى ذلك ما استخرجته القوة المفكرة من لطائف علم البيان، المطلع على إعجاز القرآن.

ومن دقائق علم الإعراب، المغرب في الوجود أي إغراب، المقتنص في الأعمار الطويلة من لسان العرب، وبيان الأدب، فكم حوى من لطيفة فكري مستخرجها، ومن غريبة ذهني منتجها، تحصلت بالعكوف على علم العربية، والنظر في التراكيب النحوية، والتصرف في أساليب النظم والنثر، والتقلب في أفانين الخطب والشعر، لم يهتد إلى إثارتها ذهن، ولا صاب بريقها مزن، وأنى ذلك وهي أزاهر خمائل غفل، ومناظر ما لمستغلق أبوابها

من قفل. في إدراك مثلها تتفاوت الأفهام، وتتبارى الأوهام، وليس العلم على زمان مقصورا، ولا في أهل زمان محصورا، بل جعله الله حيث شاء من البلاد، وبثه في التهائم والنجاد، وأبرزه أنوارا تتوسم، وأزهارا تتنسم "(١).

قال ابن الجزري– رحمه الله تعالى –: " وله التفسير الذي لم يسبق إلى مثله سماه البحر المحيط في عشر مجلدات كبار واختصره في ثلاث مجلدات سماه النهر"(٢).

مصادر كتاب البحر المحيط:

وقد اعتمد أبو حيان في جمع مادة تفسيره على كتاب "التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير" لابن النقيب، كما أنه كان كثيراً ما ينقل عن الزمخشري، وابن عطية، خاصة في مسائل النحو، ويتعقبهما في كثير من المسائل، مع اعترافه لهما بمنزلتهما العلمية.

هذا على طريق الإجمال، وأما مصادره في كل فن من الفنون فهي كما قال هو في مقدمته (٣):

١- **مصادره في اللغة: قال أبو حيان– رحمه الله تعالى – في مقدمة كتابه مبينًا كتب اللغة التي اعتمد عليها:** " كتاب الأزهري، والموعب لابن التياني، والمحكم لابن سيده، وكتاب الجامع لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي القيرواني، عرف بالقزاز، والصحاح للجوهري، والبارع لأبي عليّ التالي، ومجمع البحرين للصاغاني ".

٢- **مصادره في النحو: قال أبو حيان– رحمه الله تعالى – في مقدمة كتابه مبينًا كتب النحو التي اعتمد عليها:** " وأحسن موضوع فيه وأجله كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، رحمه الله تعالى. وأحسن ما

(١) مقدمة المصنف أبي حيان في كتابه "البحر المحيط" (ص ١٠).
(٢)"غاية النهاية في طبقات القراء" لابن الجزري (٢/٢٨٢) ترجمة رقم (٣٥٥٥).
(٣)" مقدمة المصنف (ص ١٤ وما بعدها).

وضعه المتأخرون من المختصرات وأجمعه للأحكام كتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمد بن مالك الجياني الطائي، مقيم دمشق".

٣- **مصادره في الصرف: قال أبو حيان- رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه مبينًا كتب الصرف التي اعتمد عليها:** " وأحسن ما وضع في التصريف كتاب الممتع لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي الشبيلي، رحمه الله تعالى ".

٤- **مصادره في البيان والبديع: قال أبو حيان- رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه مبينًا كتب البيان والبديع التي اعتمد عليها:** " وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة، وأجمعها ما جمعه شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله محمد بن سليمان النقيب، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير، وما وضعه شيخنا الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجني، مقيم تونس، المسمى منهاج البلغاء وسراج الأدباء "

٥- **مصادره في علم الحديث: قال أبو حيان- رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه مبينًا كتب الحديث التي اعتمد عليها:** " كالصحيحين، والجامع للترمذي، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الشافعي، ومسند الدارمي، ومسند الطيالسي، ومسند الشافعي، وسنن الدارقطني، ومعجم الطبراني الكبير، والمعجم الصغير له، ومستخرج أبي نعيم على مسلم، وغير ذلك ".

٦- **مصادره في أصول الفقه: قال أبو حيان- رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه مبينًا كتب أصول الفقه التي اعتمد عليها:** " ومن أجمع ما في هذا الفن في كتاب المحصول لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي ".

٧- **مصادره في العقيدة: قال أبو حيان- رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه مبينًا كتب العقيدة التي اعتمد عليها:** " الكلام فيما يجوز على الله تعالى، وما يجب له، وما يستحيل عليه، والنظر في النبوة: ويختص هذا الوجه بالآيات التي تضمنت النظر في الباري تعالى، وفي الأنبياء،

وإعجاز القرآن، ويؤخذ هذا من علم الكلام. وقد صنف علماء الإسلام من سائر الطوائف في هذا كتبا كثيرة، وهو علم صعب، إذ المزلة فيه، والعياذ بالله، مفض إلى الخسران في الدنيا والآخرة ".

٨- **مصادره في القراءات: قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه مبينًا كتب القراءات التي اعتمد عليها:** " وأحسن الموضوعات في القراءات السبع كتاب الإقناع لأبي جعفر بن الباذش، وفي القراءات العشرة كتاب المصباح لأبي الكرم الشهرزوري ".

المطلب الثاني: منهج الإمام أبي حيان في كتاب "البحر المحيط"

منهج أبي حيان رحمه الله تعالى في كتابه "البحر المحيط" أنه يبدأ بالمباحث اللغوية فيبدأ ببيان مفردات الآية كلمة كلمة، وكذا ما فيها من النحو، وإن كان للكلمة أكثر من معنى فإنه يذكر معانيها كلها في أول موضع؛ ليحمل عليه كل المواضع كل موضع على حسب المعنى الذي يتناسب معه، ثم يشرع في التفسير للآية، بذكر سبب النزول إن وُجد، وبيان ما إذا كانت الآية ناسخة، أو منسوخة، ذاكرًا مناسبة الآية في هذا الموضع، وبيان ارتباطها بما قبلها من الآيات.

وبعد ذلك يذكر القراءات الواردة في الآية، وتفصيل القول فيها، وبيان المستعمل منها، والشاذ ... وقد بين المصنف أبو حيان رحمه الله تعالى هو بنفسه في مقدمة الكتاب [١] منهجه مفصلًا دقيقًا وأنا أنقله بتمامه هنا للفائدة قال رحمه الله تعالى: "وَتَرْتِيبِي فِي هَذَا الْكِتَابِ، أني:

١- يبدأ ببيان مفردات الآية كلمة كلمة لغة ونحوًا.

قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى -: " وترتيبي في هذا الكتاب، أني أبتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها، لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب".

(١) مقدمة المصنف في كتابه "البحر المحيط" (ص ١٢ وما بعدها).

مثال على ذكره لمفردات الآية وبيان معناها في اللغة:

في أوائل سورة المائدة قال في تفسيرها: " البهيمة: كل ذات أربع في البر والبحر قاله الزمخشري وقال ابن عطية: البهيمة في كلام العرب ما أبهم من جهة نقص النطق والفهم انتهى. وما كان على فعيل أو فعلية وعينه حرف حلق اسما كان أو صفة، فإنه يجوز كسر أوله إتباعا لحركة عينه وهي لغة بني تميم تقول: رئي وبهيمة، وسعيد وصغير، وبحيرة وبخيل. الصيد: مصدر صاد يصيد ويصاد، ويطلق على المصيد. وقال داود بن علي الأصبهاني: الصيد ما كان ممتنعا ولم يكن له مالك وكان حلالا أكله، وكأنه فسر الصيد الشرعي.

القلادة في الهدي: ما قلد به من نعل، أو عروة مزادة، أو لحا شجر أو غيره، وكان الحرمي ربما قلد ركابه بلحا شجر الحرم، فيعتصم بذلك من السوء.

الآم: القاصد أممت الشيء قصدته.

جرمه على كذا حمله، قاله: الكسائي وثعلب. وقال أبو عبيدة والفراء: جرمه كسبه، ويقال: فلان جريمة أهله أي كاسبهم، والجارم الكاسب. وأجرم فلان اكتسب الإثم.

وقال الكسائي أيضا: جرم وأجرم أي كسب غيره، وجرم يجرم جرما إذا قطع. قال الرماني: وهو الأصل، فجرم حمل على الشيء لقطعه من غيره، وجرم كسب لانقطاعه إلى الكسب، وجرم بمعنى حق، لأن الحق يقطع عليه. قال الخليل: لا جرم أن لهم النار أي لقد حق.

الشنآن: البغض، وهو أحد مصادر شيء. يقال: شنئ يشنأ شنأ وشنآنا مثلثي الشين فهذه ستة: وشناء، وشناءة، وشناء، وشنأة، ومشنأة، ومشنئة، ومشنئة، وشنانا، وشنانا.

فهذه ستة عشر مصدراً وهي أكثر ما حفظ للفعل، وقال سيبويه: كل بناء كان من المصادر على فعلان بفتح العين لم يتعد فعله إلا أن يشذ شيء كالشنآن.

المعاونة: المساعدة. المنخنقة: هي التي تحتبس نفسها حتى تموت، سواء أكان حبسها بحبل أم يد أم غير ذلك. الوقذ: ضرب الشيء حتى يسترخي ويشرف على الموت.

وقيل: الموقوذة المضروبة بعصا أو حجر لا حد له، فتموت بلا ذكاة. ويقال: وقذه النعاس غلبه، ووقذه الحكم سكنه. التردي: السقوط في بئر أو التهور من جبل. ويقال: ردى وتردى أي هلك، ويقال: ما أدري أين ردى؟ أي ذهب. النطيحة: هي التي ينطحها غيرها فتموت بالنطح، وهي فعيلة بمعنى مفعولة صفة جرت مجرى الأسماء فوليت العوامل، ولذلك ثبت فيها الهاء. السبع: كل ذي ناب وظفر من الحيوان: كالأسد، والنمر، والدب، والذئب، والثعلب، والضبع، ونحوها. وقد أطلق على ذوات المخالب من الطير سباع...." (١).

٢- الكلمة التي لها أكثر من معنىً يذكر جميع معانيها في أول مكان ترد فيه:

قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى -: "وَإِذَا كَانَ لِلْكَلِمَةِ مَعْنَيَانِ أَوْ مَعَانٍ، ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ مَوْضِعٍ فِيهِ تِلْكَ الْكَلِمَةُ، لِيُنْظَرَ مَا يُنَاسِبُ لَهَا مِنْ تِلْكَ الْمَعَانِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَقَعُ فِيهِ، فَيُحْمَلَ عَلَيْهِ"

٣- بعد ذلك يشرع في تفسير الآية ذاكرًا سبب النزول إن وُجد، وبيان موقفها من النسخ إن وُجد، وبيان ارتباطها بما قبلها من الآيات:

قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى -: " ثُمَّ أَشْرَعُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ، ذَاكِرًا سَبَبَ نُزُولِهَا، إِذَا كَانَ لَهَا سبب، ونسخها وَمُنَاسَبَتَهَا وَارْتِبَاطَهَا بِمَا قَبْلَهَا".

(١) البحر المحيط (١٥٤/٤).

مثال على ذكره لسبب نزول الآية إذا كان لها سبب نزول:

قال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥].

قال الإمام أبو حيان– رحمه الله تعالى –: " ذكروا في سبب نزول هذه الآية أقاويل: أحدها: أنها نزلت في الأنصار، وكانوا حلفاء لليهود، وبينهم جوار ورضاعة، وكانوا يودون لو أسلموا.

وقيل: كان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يودون إسلام من بحضرتهم من أبناء اليهود، لأنهم كانوا أهل كتاب وشريعة، وكانوا يغضبون لهم ويلطفون بهم طمعا في إسلامهم. وقيل: نزلت فيمن بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم من أبناء السبعين الذين كانوا مع موسى عليه السلام في الطور، فسمعوا كلام الله، فلم يمتثلوا أمره، وحرفوا القول في أخبارهم لقومهم، وقالوا: سمعناه يقول إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا. وقيل: نزلت في علماء اليهود الذين يحرفون التوراة، فيجعلون الحلال حراما، والحرام حلالا، اتباعا لأهوائهم.

وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل علينا قصبة المدينة إلا مؤمن".

قال كعب بن الأشرف ووهب بن يهوذا وأشباههما: اذهبوا وتجسسوا أخبار من آمن، وقولوا لهم آمنا، واكفروا إذا رجعتم، فنزلت. وقيل: نزلت في قوم من اليهود قالوا لبعض المؤمنين: نحن نؤمن أنه نبي، لكن ليس إلينا، وإنما هو إليكم خاصة، فلما خلوا، قال بعضهم: أتقرون بنبوته وقد كنا قبل نستفتح به؟ فهذا هو الذي فتح الله عليهم من علمه. وقيل: نزلت في قوم من اليهود كانوا يسمعون الوحي، ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه.

ثم عقب على هذه الأقوال بقوله: وهذه الأقاويل كلها لا تخرج عن أن الحديث في اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم الذين يصح فيهم الطمع أن يؤمنوا، لأن الطمع إنما يصح في المستقبل، والضمير في أن يؤمنوا لكم لليهود. والمعنى: استبعاد إيمان اليهود، إذ قد

تقدم لأسلافهم أفاعيل، وجزى أبناؤهم عليها. فبعيد صدور الإيمان من هؤلاء "[١].

٤- بعد ذلك يذكر القراءات الواردة في الآية مستعملها وشاذها على وجه التفصيل والاستيعاب:

قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى -: " حاشدا فيها القراءات، شاذها ومستعملها، ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية، ناقلا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها، متكلما على جليها وخفيها، بحيث إني لا أغادر منها كلمة، وإن اشتهرت، حتى أتكلم عليها، مبدياً ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب من بديع وبيان، مجتهدا أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق، ولا في جملة تقدم الكلام عليها، ولا في آية فسرت، بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية، وإن عرض تكرير فبمزيد فائدة ".

مثال على ذكره للقراءات الواردة في الآية وتوجيهها:

قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة: ٦ – ٧].

قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى -: " ولغة تميم تخفيف الهمزتين في نحو أأنذرتهم، وبه قرأ الكوفيون، وابن ذكوان، وهو الأصل. وأهل الحجاز لا يرون الجمع بينهما طلبا للتخفيف، فقرأ الحرميان، وأبو عمرو، وهشام:

بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية، إلا أن أبا عمرو، وقالون، وإسماعيل بن جعفر، عن نافع، وهشام، يدخلون بينهما ألفا، وابن كثير لا يدخل. وروي تحقيقا عن هشام وإدخال ألف بينهما، وهي قراءة ابن عباس، وابن

(١) البحر المحيط (٤٣٧/١).

أبي إسحاق. وروي عن ورش، كابن كثير، وكقالون وإبدال الهمزة الثانية ألفا فيلتقي ساكنان على غير حدهما عند البصريين، وقد أنكر هذه القراءة الزمخشري، وزعم أن ذلك لحن وخروج عن كلام العرب من وجهين: أحدهما:

الجمع بين ساكنين على غير حده. الثاني: إن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها هو بالتسهيل بين بين لا بالقلب ألفا، لأن ذلك هو طريق الهمزة الساكنة، وما قاله هو مذهب البصريين، وقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازه البصريون.

وقراءة ورش صحيحة النقل لا تدفع باختيار المذاهب ولكن عادة هذا الرجل إساءة الأدب على أهل الأداء ونقلة لقرآن.

وقرأ الزهري، وابن محيصن: أنذرتهم بهمزة واحدة، حذف الهمزة الأولى لدلالة المعنى عليها، ولأجل ثبوت ما عاد لها، وهو أم، وقرأ أبي أيضا بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الميم الساكنة قبلها ..." (١).

٥- ذكر الأحكام الفقهية الواردة في الآية مع ذكر أقوال الفقهاء لا سيما الفقهاء الأربعة:

قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى -: "نَاقِلًا أَقَاوِيلَ الْفُقَهَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَغَيْرِهِمْ فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا فِيهِ تَعَلُّقٌ بِاللَّفْظِ الْقُرْآنِيِّ، مُحِيلًا عَلَى الدَّلَائِلِ الَّتِي فِي كُتُبِ الْفِقْهِ".

مثال على ذكره لمذاهب الفقهاء في المسائل الفقهية:

قال في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

(١) البحر المحيط (٧٩/١).

قال في مسائل هذه الآية: " وقال عامة العلماء: لا يقتل الوالد بولده، وعليه الدية في ماله، قال بذلك: أبو حنيفة، والأوزاعي، والشافعي، وسووا بين الأب والجد، وروي ذلك عن عطاء ومجاهد.

وقال الحسن بن صالح: يقاد الجد بابن الابن، وكان يجيز شهادة الجد لابن ابنه، ولا يجيز شهادة الأب لابنه، وظاهر قوله: الحر بالحر قتل الابن بأبيه، والظاهر أيضا قتل الجماعة بالواحد، وصح ذلك عن عمر وعلي، وهو قول أكثر أهل العلم.

وقال أحمد: لا تقتل الجماعة بالواحد، والظاهر أيضا قتل من يجب عليه القتل لو انفرد إذا شارك من لا يجب عليه القتل كالمخطئ والصبي والمجنون والأب عند من يقول لا يقتل بابنه.

وقال أبو حنيفة: لا قصاص على واحد منهما وعلى الأب القاتل نصف الدية في ماله والصبي والمخطئ والمجنون على عاقلته، وهو قول الحسن بن صالح.

وقال الأوزاعي: على عاقلة المشتركين ممن ذكر الدية.

وقال الشافعي: على الصبي القاتل المشارك نصف الدية في ماله، وكذلك دية الحر والعبد إذا قتلا عبدا، والمسلم والنصراني إذا قتلا نصرانيا، وإن شاركه قاتل خطأ فعلى العامد نصف الدية، وجناية المخطئ على عاقلته.

وقال ابن المسيب، وقتادة، والنخعي، والشعبي، والثوري، وأبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بقتل الحر بالعبد.

وقال مالك، والليث، والشافعي لا يقتل به، واتفقوا على أن المسلم لا يقتل بالكافر الحربي. وقال أبو حنيفة: يقتل المسلم بالذمي وقال ابن شبرمة، والثوري، والأوزاعي، والشافعي: لا يقتل به. قال مالك والليث: إن قتله غيلة قتل به وإلا لم يقتل به وكلهم اتفقوا على قتل العبد بالحر.

والظاهر من الآية الكريمة مشروعية القصاص في القتلى بأي شيء وقع القتل، من مثقل حجر، أو خشبة، أو عصا، أو شبه ذلك مما يقتل غالبا، وهو مذهب مالك.

والشافعي، والجمهور.

وقال أبو حنيفة: لا يقتل إذا قتل بمثقل.

والظاهر من الأئمة عدم تعيين الآلة التي يقتل بها من يستحق القتل "(١).

٦- الإحالة على كتب النحو فيما يذكره من مسائل نحوية، ولكنه يذكر الأدلة إذا كان الحكم غريبًا أو خلاف ما هو مشهور:

قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى -: "وَكَذَلِكَ مَا نَذْكُرُهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ أُحِيلُ فِي تَقَرُّرِهَا وَالاسْتِدْلَالِ عَلَيْهَا عَلَى كُتُبِ النَّحْوِ، وَرُبَّمَا أَذْكُرُ الدَّلِيلَ إِذَا كَانَ الْحُكْمُ غَرِيبًا، أَوْ خِلَافَ مَشْهُورِ مَا قَالَ مُعْظَمُ النَّاسِ".

٧- بيان العمل بظاهر الدليل إلا إذا وُجد ما يوجب استعماله في غير ظاهره:

قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى في بيان منهجه -: " بادئا بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ من حجا له لذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه، منكبا في الإعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها، مبينا أنها مما يجب أن يعدل عنه، وأنه ينبغي أن يحمل على أحسن إعراب وأحسن تركيب، إذ كلام الله تعالى أفصح الكلام، فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة في شعر الشماخ والطرماح وغيرهما من سلوك التقادير البعيدة والتراكيب القلقة والمجازات المعقدة".

٨- يذكر بعد ذلك جملة مما يتعلق بالآية من البيان والبديع إفرادًا وتركيبًا:

ثم قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى -: "ثُمَّ أَخْتَتِمُ الْكَلَامَ فِي جُمْلَةٍ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي فَسَّرْتُهَا إِفْرَادًا وَتَرْكِيبًا بِمَا ذَكَرُوا فِيهَا مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ وَالْبَدِيعِ، مُلَخِّصًا".

(١) البحر المحيط (١٤٦/٢).

٩- يذكر بعد ذلك شرحًا لمضمون الآيات حسب اختياره، وقد يذكر في هذا التلخيص مالم يذكره من قبل:

قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى -: "ثمَّ أُتْبِعُ آخِرَ الْآيَاتِ بِكَلَامٍ مَنْثُورٍ أَشْرَحُ بِهِ مَضْمُونَ تِلْكَ الْآيَاتِ عَلَى مَا أَخْتَارُهُ مِنْ تِلْكَ الْمَعَانِي، مُلَخِّصًا جُمَلَهَا فِي أَحْسَنِ تَلْخِيصٍ، وَقَدْ يَنْجَرُّ مَعَهَا ذِكْرُ مُعَانٍ لَمْ تَتَقَدَّمْ فِي التَّفْسِيرِ"

١٠- يذكر بعض كلام الصوفية أحيانًا إذا احتاجه لبيان مدلول الكلام، إذا لم يكن كلامه مخالفًا لأصول الدين:

قال الإمام أبو حيان- رحمه الله تعالى -: " وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ، وتجنبت كثيرا من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ، وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى وعلى علي كرم الله وجهه وعلى ذريته، ويسمونه علم التأويل ".

١١- يرجح بين أقوال الفقهاء في المسائل الفقهية، حسب الأدلة، وحسب ما تقتضيه اللغة، وهذا واضح جدًا لمن طالع كتابه "البحر المحيط".

١٢- يُعرض عن أقوال الباطنية، والمعتزلة في كتابه، وإذا ذكرها فإنما يذكرها ليبين أنها على خلاف ما قال به جماهير أهل العلم.

١٣- يُعرض عن كل ما لم تتعرض له الآيات مما لا مناسبة له بها ولا تعلق، ولهذا أعرض عن الإسرائيليات، فقد خلا كتابه منها وهذا مما امتاز به كتابه.

وهذه هي جملة ما اشتمل عليه كتاب "البحر المحيط" للإمام أبي حيان رحمه الله تعالى.

المطلب الثالث: القيمة العلمية للكتاب، والمآخذ عليه.

أولًا: القيمة العلمية للكتاب:

كتاب "البحر المحيط" للإمام أبي حيان رحمه الله تعالى هو كاسمه بحر من العلوم لا ساحل له، وهو بحر لا تُكَدِّره الدِّلاء، ومعين لا يَنضَب، فقد جمع المسائل التي تتعلق بتفسير كتاب الله تعالى من لغة، ونحو، وتفسير، وفقه، وغير ذلك من العلوم التي لابد من معرفتها لفهم كتاب الله تعالى فهمًا صحيحًا، ومعرفة كل ما يتعلق به من مسائل وأحكام، وقد اشتمل كتاب البحر المحيط على آلاف المميزات التي لا تُعد ولا تُحصى، ومن هذه المميزات على سبيل المثال:

١- راعى الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في تفسيره عقيدة أهل السنة والجماعة، ويظهر هذا من مواطن كثيرة في كتابه، إلا في الصفات كما سيأتي بيانه.

٢- يُعتبر كتاب "البحر المحيط" موسوعة علمية تحتوي على كل ما يتعلق بكتاب الله تعالى من "لغة، ونحو، وبلاغة، وتفسير، وسبب نزول، ونسخ، وقراءات" وغير ذلك مما لا غنى للمسلمين عنه، فهو كتاب يحتاجه طلاب العلم والعلماء كلٌ يجد في هذا الكتاب بُغيته.

٣- لا يُحمِّل النص القرآني ما لا يحتمل، ولا يخرج به عن ظاهره إلا لدليل يقتضي هذا الخروج، ولذلك وجدناه لا يعرض في تفسيره لأقوال أهل الفلسفة، ولا يُعرِّج -لا من قريب ولا بعيد- على أقوال الفرق الباطنية، التي تعتمد التأويل المرجوح لآيات القرآن الكريم.

٤- وكان بريئاً في كتابه هذا من مذهب أهل الاعتزال، فكتابه خلا من عقيدة المعتزلة تمامًا، إلا أن يذكرها من أجل بيان أنهم مخالفين لعقيدة أهل السنة في غالب الأحيان.

الكتاب رتبه مؤلفه ترتيبًا بديعًا غاية في الدقة، والبيان، مما يساعد على تحصيل الثمرة المرجوة من تأليفه، وقد وفَّى أبو حيان رحمه الله تعالى،

بالترتيب الذي أشار به في مقدمة كتابه، مما سهل الوصول للمعلومة لطالبيها من كتابه.

٥- يُعتبر كتابه مرجعًا في الفقه الإسلامي، حيث إنه ينقل أقوال الفقهاء، لا سيما أهل المذاهب المشهورة "الأحناف، والمالكية، والشافعية، والحنابلة" ويذكر أدلة كل مذهب.

٦- ومما يميز كتاب أبي حيان "البحر المحيط" أن صاحبه في غالب الأحيان لم يكن مجرد ناقل لأقوال الفقهاء دون فهم، أو مناقشة وترجيح، بل كان يفهم ما ينقله، ويناقش الأقوال، ويرجح بينها حسب ما يقتضيه الدليل، واللغة، والعقل، وهذا من أكثر ما يُستفاد من هذا الكتاب العظيم.

٧- يعزو رحمه الله تعالى الأحاديث إلى مصادرها من كتب المتون كالصحيحين، وسنن أبي دواد، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وغير ذلك من كتب السنة.

٨- يعزو غالب الأقوال لأصحابها، ويعزو للمصادر كذلك التي ينقل منها في أحيان كثيرة.

٩- يصحح ويضعف في الأقوال وفي بعض الأحاديث.

١٠- كثير الاستدلال بالأحاديث النبوية الشريفة.

١١- في غالب الأحيان يذكر أسباب ترجيحه، وهذا مفيد جدًا أن يذكر أسباب ترجيحه للقول الذي يرجحه ويختاره.

ثانيًا: المآخذ على الكتاب:

كما سبق بيانه أن كتاب "البحر المحيط" للإمام أبي حيان رحمه الله تعالى هو كاسمه بحر من العلوم لا ساحل له، وهو بحر لا تُكَدِّره الدِّلاء، فقد جمع المسائل التي تتعلق بتفسير كتاب الله تعالى من لغة، ونحو، وتفسير، وفقه، وغير ذلك من العلوم التي لابد من معرفتها لفهم كتاب الله تعالى فهمًا صحيحًا، ومعرفة كل ما يتعلق به من مسائل وأحكام.

ولا يخلو عمل بشري من بعض الاستدراكات، ومن الأمور التي تُستدرك عليه رحمه الله وهي لا تعكر صفو ذلك البحر المحيط في الحقيقة هي:

١- يُعد تفسير "البحر المحيط" لأبي حيان من قسم "التفسير بالرأي" فهو يعتمد على جانب اللغة العربية، نحواً وصرفاً، في تفسير القرآن الكريم، وهذا للعقل فيه مدخل كما لا يخفى على القارئ.

٢-لم يلتزم مذهب أهل السنة والجماعة في مسائل الأسماء والصفات، وإن ظهرت عنده بعض اللمسات التي تدل على تمسكه بمنهج أهل السنة والجماعة في ذلك وقد سبق الكلام على هذا في "عقيدته" فيُراجع هناك .

٣-المسائل التي يتعرض لها في كل موضع كثيرة جدًا كما سبق بيانه في منهجه في كتابه، مما يجعل تحصيل المعلومة فيه عَسرًا وصعبًا، مما يُصيب القارئ بالملل حين لا يهتدي إلى مراده بسهولة.

٤-أحيانًا يعرض كثيرًا من الأقوال في المسألة الواحدة دون ترجيح لأحد الأقوال مما يوقع القارئ في حيرة من أمره، إذ إنه ليس كل واحد يُطالع الكتاب يمكنه الترجيح بين الأقوال ليخلص لما يدين به من هذه الأقوال لله تعالى.

٥-كانت معظم مناقشات أبي حيان وترجيحاته في النحو واللغة فقد عُني رحمه الله تعالى بمسائل النحو واللغة وما يتعلق بهما جدًا، بينما لم تلق مسائل الفقه والتفسير نفس الاهتمام بنفس القوة.

المبحث الثالث: تعريف الترجيح والألفاظ المتصلة به.

تعريف الترجيح في اللغة وفي الاصطلاح:

أولًا: الترجيح في اللغة:

تدور معاني كلمة "الترجيح" عند أهل اللغة حول معنى "وزن الشيء" ليستبين أي الطرفين أثقل ميزانًا من الآخر، فـ"الراجح" عندهم هو "الوازن".

قال أبو منصور الهروي– رحمه الله تعالى –: "رجح: قَالَ اللَّيْث: الراجِح: الوازِن. يُقَال: رَجَحتُ الشيءَ بيَدي أَي وزنتُه ونَظرت مَا ثِقْلُه، وأَرْجَحتُ الْمِيزَان أَي أَثقَلتُه حَتَّى مَال"(١).

وقال الجوهري– رحمه الله تعالى –: "رَجَحَ الميزانُ يَرْجَحُ ويَرْجُحُ ويرجِحُ، رُجْحاناً، أي مالَ. وأَرْجَحْتُ لفلان، ورَجَّحْتُ تَرْجيحاً، إذا أعطيته راجحاً. والرَجاحُ: المرأة العظيمة العَجُز، والجمع الرجح"(٢).

وقال ابن فارس– رحمه الله تعالى –: "رجح الشيء، وهو راجح، إذا وزن، وهو من الرجحان"(٣).

ثانيًا: الترجيح في الاصطلاح:

الترجيح عند أهل الاصطلاح لا يخرج عن المعنى الثابت له في اللغة، فإذا كان الترجيح عند أهل اللغة يدور حول معنى "وزن الشيء" ليستبين أي الطرفين أثقل ميزانًا من الآخر.

فإن معنى الترجيح عند أهل الاصطلاح: هو إثبات مرتبة ومزية لأحد الدليلين على الآخر.

قال الجرجاني– رحمه الله تعالى –: " الترجيح: إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر"(٤).

---

١) تهذيب اللغة لأبي منصور الهروي (٨٦/٤).

٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٦٤/١).

٣) مجمل اللغة لابن فارس (٤٢٠/١).

٤) التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ص ٥٦).

وقال: "التَّرْجِيح: هُوَ بَيَان الْقُوَّة لأحد المتعارضين على الآخر"[١].

ومن الألفاظ المرادفة للترجيح، ويستعملها العلماء بنفس معنى الترجيح كلمة "الاختيار".

تعريف الاختيار:

أولًا: الاختيار في اللغة: الاختيار في اللغة :مشتقٌّ من الخير؛ وهو خلاف الشرِّ؛ قال ابن فارس: (الخاء واليـاء والـراء: أصله العطف والميل) [٢]، وخار الشيء واختاره، انتقاه واصطفاه[٣] .

ثانيًا: الاختيار في الاصطلاح: يعرف الاختيار باصطلاح الفقهاء بأنه: ترجيح الشيء وتخصيصه وتقسيمه على غيره [٤].

قال أبو البقاء الحنفي الكفوي– رحمه الله تعالى –: " الِاخْتِيَار: هُوَ طلب مَا هُوَ خير وَفعله، وَقد يُقَال لما يرَاهُ الْإِنْسَان خيرا وَإِن لم يكن خيرا، وَقَالَ بَعضهم: الِاخْتِيَار: الْإِرَادَة مَعَ مُلَاحظَة مَا للطرف الآخر، كَأَن الْمُخْتَار ينظر إِلَى الطَّرفَيْنِ ويميل إِلَى أَحدهمَا والمريد ينظر إِلَى الطّرف الَّذِي يُرِيدهُ" [٥].

وقال التهانوي– رحمه الله تعالى –: "الاختيار: ترجيح الشيء وتخصيصه وتقديمه على غيره، وهو أخصّ من الإرادة"[٦].

---

١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الحنفي الكفوي (ص ٣١٥).

٢) معجم مقاييس اللغة – أحمد بن فارس القزويني – تحقيق عبد السلام محمد هارون – ٢٣٢/٢.

٣) لسان العرب (مادة: خَيَر)، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري – ٢٦٤/٤.

٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم – محمد علي التهانوي – تحقيق رفيق العجم، علي دحروج – ص٥٠.

٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الحنفي الكفوي (ص ٦٢).

٦) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم – لمحمد بن علي التهانوي – (١١٩/١).

المبحث الرابع: التعريف بمصطلحات ترجيح الإمام أبي حيان الأندلسي.

الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى لم يكن مجرد ناقل للأقوال في اللغة والنحو والتفسير والفقه وغير ذلك مما اشتمل عليه كتابه دون مناقشة لهذه الأقوال، ودون ترجيح.

بل كان رحمه الله تعالى يرجح ما يراه راجحًا حسب ما تقتضيه قواعد اللغة ولسان العرب، وكذا حسب ما تدل عليه الأدلة الشرعية من قرآن وسنة.

ولم يقتصر الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى على لفظ واحدٍ يستعمله عند ترجيح أحد الأقوال التي يذكرها، بل استخدم ألفاظًا كثيرة منها:

١- **يرجح بلفظ: (الترجيح) ومشتقاته كقوله:** (والراجح، أرجح، ويترجح، راجح، راجحها...) وستأتي الأمثلة على أغلب هذه الألفاظ بتوسع لزيادة الإيضاح.

وقد يذكر قولين مثلًا في المسألة ثم يكتفي ببيان القول المرجوح مما يفيد أن مقابله هو الراجح فيقول: (... مرجوح) وستأتي أمثلة ذلك.

٢- **يرجح بلفظ: (الاختيار) ومشتقاته كقوله:** (نختاره، والمختار، أختاره، اختياره ...).

وقد يُرجح أحد القولين بأن يقول في أحدهما: (لا أختاره)، وهذا دليل على ترجيحه للرأي الذي يُقابله.

٣- **يرجح بلفظ: (الظاهر) ومشتقاته:** وهذه اللفظة أكثر الإمام أبو حيان منها جدًا فهذه أكثر لفظة استعملها الإمام أبو حيان في ترجيحاته في كتابه "البحر المحيط" حتى زادت ترجيحاته بهذه اللفظة عن (١٠٠٠) ترجيحٍ، كقوله: (والظاهر، يظهر ...).

٤- **يرجح بلفظ: (الأَوْلى) ومشتقاتها كقوله:** (والأولى، هو الأولى، أولى من) وستأتي أمثلتها.

٥- **يرجح بلفظ: (الصحيح) ومشتقاتها كقوله:** (والصحيح، أصح الأقوال، أصحها).

وقد يُرجح أحد القولين بأن يحكم على مقابله بأنه غير صحيح فيقول: (غير صحيح).

وأكثر ترجيحات الإمام أبي حيان فيما يتعلق بـــ (النحو) هذا هو الذي أكثر الإمام أبو حيان في الأخذ والرد فيه والترجيح بين الأقوال، والتصحيح والتضعيف فيها.

الأمثلة المفصلة لألفاظ الترجيح عند الإمام أبي حيان رحمه الله تعالى:

١- ترجيحه بلفظ: (الترجيح) ومشتقاته كقوله: (والراجح، أرجح، ويترجح، راجح، راجحها...).

أولًا: في اللغة:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣].

قال أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية:" مِنْ مِثْلِهِ مِنْ: الْهَاءُ عَائِدَةٌ عَلَى مَا، أَوْ عَلَى عَبْدِنَا".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالرَّاجِحُ** الأول وهو قول أكثر المفسرين ورجحانه من وجوه: **أحدها:** أن الارتياب أولا إنما جيء به منصبا على المنزل لا على المنزل عليه، وإن كان الريب في المنزل ريبا في المنزل عليه بالالتزام، فكان عود الضمير عليه أولى.

الثاني: أنه قد جاء في نظير هذه الآية وهذا السياق قوله: فأتوا بسورة من مثله، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات"

على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله الثالث: اقتضاء ذلك كونهم عاجزين عن الإتيان، سواء اجتمعوا أو انفردوا، وسواء كانوا أميين أم كانوا غير أميين، وعوده على المنزل يقتضي كون آحاد الأميين عاجزا عنه، لأنه لا يكون مثله إلا الشخص الواحد الأمي. فأما لو اجتمعوا أو كانوا قارئين فلا شك أن الإعجاز على الوجه الأول أقوى، فإذا جعلنا الضمير

عائداً على المنزل، فمن: للتبعيض وهي في موضع الصفة لسورة أي بسورة كائنة من مثله " [١].

فذكر رحمه الله تعالى أن أهل العلم منقسمون في هذه المسألة على قسمين:

الفريق الأول: قالوا الضمير في قوله تعالى: "من مثله" عائد على قوله تعالى: {"عبدنا".

والفريق الثاني: قال الضمير يعود على (ما) في قوله تعالى: {مما نزلنا}.

ثم رجح رحمه الله تعالى قول الفريق الثاني وذكر ثلاثة أدلة على صحة ما رجحه.

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٢ ﴾ [المائدة: ١٢].

قال أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: " وَضَمِيرُ الْخِطَابِ – أي في قوله تعالى: "إني معكم}" – هُوَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا. وَقَالَ الرَّبِيعُ: هُوَ خِطَابٌ لِلنُّقَبَاءِ".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "وَالْأَوَّلُ هُوَ **الرَّاجِحُ**؛ لِانْسِحَابِ الْأَحْكَامِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ "[٢].

١) البحر المحيط (١٦٩/١).

٢) البحر المحيط (٢٠٣/٤).

فهنا رجح الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى أن الضمير يعود على جميع بني إسرائيل، وبين أن القول بأنه يعود على النقباء فقط قول مرجوح.

ثم ذكر دليل كون الرأي الأول راجحًا فقال: " وَالْأَوَّلُ هُوَ الرَّاجِحُ لِانْسِحَابِ الْأَحْكَامِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ عَلَى جَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ".

ثانيًا: في التفسير:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [النساء: ١٣٦].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: "مُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ، وَالشَّهَادَةِ لِلَّهِ، بَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَتَّصِفُ بِذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ رَاسِخَ الْقَدَمِ فِي الْإِيمَانِ بِالْأَشْيَاءِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَأَمَرَ بِهَا. وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ. ومعنى: آمنوا دوموا عَلَى الْإِيمَانِ قَالَهُ: الْحَسَنُ، وَهُوَ **أَرْجَحُ**؛ لِأَنَّ لَفْظَ الْمُؤْمِنِ مَتَى أُطْلِقَ لَا يَتَنَاوَلُ إِلَّا الْمُسْلِمَ"(١).

ذكر أن القول الذي بدأ به هو الراجح وهو ملخص كلام الإمام الحسن البصري.

ثم بيَّن رحمه الله تعالى سبب ترجيحه لهذا القول فقال: " وَهُوَ أَرْجَحُ؛ لِأَنَّ لَفْظَ الْمُؤْمِنِ مَتَى أُطْلِقَ لَا يَتَنَاوَلُ إِلَّا الْمُسْلِمَ ".

ثم ذكر بقية الأقوال التي قيلت في مناسبة الآية ومعناها مما يراه هو مرجوحًا فقال: "وَقِيلَ: لِلْمُنَافِقِينَ أَيْ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ بِأَلْسِنَتِهِمْ آمِنُوا بِقُلُوبِكُمْ. وَقِيلَ: لِمَنْ آمَنَ بِمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَيْ: يَا مَنْ آمَنَ بِنَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقِيلَ: هُمْ جَمِيعُ الْخَلْقِ

١) البحر المحيط (٩٨/٤).

أَيْ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يَوْمَ أَخْذِ الْمِيثَاقِ حِينَ قَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى..." (١).

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القمر: ١٢].

قال أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: "عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ": أَيْ عَلَى حَالَةٍ وَرُتْبَةٍ قَدْ فُصِلَتْ فِي الْأَزَلِ. وَقِيلَ: عَلَى مَقَادِيرَ قَدْ رُتِّبَتْ وَقْتَ الْتِقَائِهِ، فَرُوِيَ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ كَانَ عَلَى سَبْعَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، وَنَزَلَ مَاءُ السَّمَاءِ عَلَى تَكْمِلَةِ أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا. وَقِيلَ:

كَانَ مَاءُ الْأَرْضِ أَكْثَرَ، وَقِيلَ: كَانَا مُتَسَاوِيَيْنِ، نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ قَدْرُ مَا خَرَجَ مِنَ الْأَرْضِ.

وَقِيلَ: عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ: فِي اللَّوْحِ أَنَّهُ يَكُونُ، وَهُوَ هَلَاكُ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالطُّوفَانِ".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "وَهَذَا هُوَ **الرَّاجِحُ**؛ لِأَنَّ كُلَّ قِصَّةٍ ذُكِرَتْ بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ ذَكَرَ اللَّهُ هَلَاكَ مُكَذِّبِي الرُّسُلِ فِيهَا، فَيَكُونُ هَذَا كِنَايَةً عَنْ هَلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ، وَلِذَلِكَ ذَكَرَ نَجَاةَ نُوحٍ بَعْدَهَا فِي قَوْلِهِ: "وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ "(٢).

بعد أن ذكر الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى الأقوال التي قيلت في تفسير الآية، رجَّح رحمه الله تعالى قول من قال بأن معنى قوله تعالى: {قد قدر} أي كتب في اللوح المحفوظ وقُدِّر أن يكون في هذا الوقت بهذه الكيفية.

ثم ذكر رحمه الله تعالى سبب ترجيحه لهذا القول فقال: " وَهَذَا هُوَ الرَّاجِحُ، لِأَنَّ كُلَّ قِصَّةٍ ذُكِرَتْ بَعْدَ هَذِهِ الْقِصَّةِ ذَكَرَ اللَّهُ هَلَاكَ مُكَذِّبِي الرُّسُلِ

١) البحر المحيط: الإحالة السابقة.

٢) البحر المحيط (٣٩/١٠).

فِيهَا، فَيَكُونُ هَذَا كِنَايَةً عَنْ هَلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ، وَلِذَلِكَ ذَكَرَ نَجَاةَ نُوحٍ بَعْدَهَا فِي قَوْلِهِ: "وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ ".

اكتفاء أبي حيان في الترجيح ببيان أن أحد القولين "مرجوح":

أولًا: في اللغة:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾ [النساء: ٣].

قال أبو حيان رحمه الله في مسائل هذه الآية: " فَقِيلَ: "مَا" بِمَعْنَى "مَنْ"، وَهَذَا مَذْهَبُ مَنْ يُجَوِّزُ وُقُوعُ "مَا" عَلَى آحَادِ الْعُقَلَاءِ، وَهُوَ مَذْهَبٌ **مَرْجُوحٌ**"[1].

اكتفى أبو حيان هنا ببيان أن من يُجوز أن تُستعمل "ما" لأحدٍ من العقلاء هذا مذهب مرجوح، وعليه فالراجح عنده أنها لا تُستعمل إلا في غير العقلاء.

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النساء: ٤٦].

قال أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: " قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: الْمَعْنَى وَلَوْ ثَبَتَ قَوْلُهُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا لَكَانَ قَوْلُهُمْ ذَلِكَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَأَعْدَلَ وَأَسَدَّ انْتَهَى. فَسَبَكَ مِنْ أَنَّهُمْ قَالُوا مصدرا مرتفعا يثبت عَلَى

---

١) البحر المحيط (٣/٥٠٤).

الْفَاعِلِيَّةِ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْمُبَرِّدِ خِلَافًا لِسِيبَوَيْهِ. إِذْ يَرَى سِيبَوَيْهِ أَنَّ "أَنْ" بَعْدَ "لَوْ" مَعَ مَا عَمِلَتْ فِيهِ مُقَدَّرٌ بِاسْمٍ مُبْتَدَأٍ، وَهَلِ الْخَبَرُ مَحْذُوفٌ، أَمْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرِ خَبَرٍ لِجَرَيَانِ الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي صِلَةِ أَنْ؟

قَوْلَانِ أَصَحُّهُمَا هَذَا. فَالزَّمَخْشَرِيُّ وَافَقَ مَذْهَبَ الْمُبَرِّدِ، وَهُوَ مَذْهَبٌ **مَرْجُوحٌ** فِي عِلْمِ النَّحْوِ"(١).

ذكر أبو حيان رحمه الله تعالى قولين أحدهما عن الزمخشري تبعًا للمبرد، والآخر لسيبويه، ثم بيَّن أن رأي الزمخشري مرجوح، فدل هذا على أن قول سيبويه هو الراجح عند الإمام أبي حيان.

ثانيًا: في التفسير

مثال:

في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة: ٢].

قال أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: "وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَامَ الْفَتْحِ، فَكُلُّ مَا كَانَ فِيهَا فِي حَقِّ مُسْلِمٍ حَاجٍّ فَهُوَ مُحْكَمٌ، أَوْ فِي حَقِّ كَافِرٍ فَهُوَ مَنْسُوخٌ، نُسِخَ ذَلِكَ بَعْدَ عَامِ سَنَةِ تِسْعٍ، إِذْ حَجَّ أَبُو بَكْرٍ وَنُودِيَ فِي النَّاسِ بِسُورَةِ بَرَاءَةَ. وَقَوْلُ الْحَسَنِ وَأَبِي مَيْسَرَةَ: لَيْسَ فِيهَا مَنْسُوخٌ، قَوْلٌ **مَرْجُوحٌ**"(٢).

اكتفى الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى ببيان القول المرجوح؛ ليُعلم أن ما قابله من الأقوال هو الراجح في تفسير الآية.

---

١) البحر المحيط (٣/٦٦٤).

٢) البحر المحيط (٤/١٦٧).

٢- ترجيحه بلفظ: (الاختيار) ومشتقاته كقوله: (نختاره، والمختار، أختاره، اختياره ...).

أولًا: في اللغة:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ [البقرة: ٢] .

قال الإمام أبو حيان رحمه الله في مسائل هذه الآية: " وَقَدْ رَكَّبُوا وُجُوهًا مِنَ الْإِعْرَابِ فِي قَوْلِهِ: ذلِكَ الْكِتابُ لَا رَيْبَ فِيهِ".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "وَالَّذِي **نَخْتَارُهُ** مِنْهَا أَنَّ قَوْلَهُ: ذلِكَ الْكِتابُ جُمْلَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ".

ثم بيَّن سبب اختياره لهذا الوجه فقال: "لِأَنَّهُ مَتَى أَمْكَنَ حَمْلُ الْكَلَامِ عَلَى غَيْرِ إِضْمَارٍ وَلَا افْتِقَارٍ، كَانَ أَوْلَى أَنْ يَسْلُكَ بِهِ الْإِضْمَارَ وَالِافْتِقَارَ، وَهَكَذَا تَكُونُ عَادَتُنَا فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ، لَا نَسْلُكُ فِيهِ إِلَّا الْحَمْلَ عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ، وَأَبْعَدِهَا مِنَ التَّكَلُّفِ، وَأَسْوَغِهَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ "[1].

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ۝٤٦ ﴾ [مريم: ٤٦].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله في مسائل هذه الآية: "قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَقُدِّمَ الْخَبَرُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ فِي قَوْلِهِ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي لِأَنَّهُ كَانَ أَهَمَّ عِنْدَهُ وَهُوَ عِنْدَهُ أَعْنِي وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنَ التَّعَجُّبِ وَالْإِنْكَارِ لِرَغْبَتِهِ عَنْ آلِهَتِهِ، وَإِنَّ آلِهَتَهُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْغَبَ عَنْهَا أَحَدٌ. وَفِي هَذَا سُلْوَانٌ وَتَلْجٌ لِصَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَمَّا كَانَ يَلْقَى مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ كُفَّارِ قَوْمِهِ انْتَهَى.

---

١) البحر المحيط (٦١/١).

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالْمُخْتَارُ** فِي إِعْرَابِ أَراغِبٌ أَنْتَ أَنْ يَكُونَ رَاغِبٌ مُبْتَدَأً".

ثم بيَّن رحمه الله تعالى سبب هذا الاختيار فقال: "لِأَنَّهُ قَدِ اعْتَمَدَ عَلَى أداة الاستفهام، وأَنْتَ فَاعِلٌ سَدَّ مَسَدَّ الْخَبَرِ، وَيَتَرَجَّحُ هَذَا الْإِعْرَابُ عَلَى مَا أَعْرَبَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ مِنْ كون أَراغِبٌ خبرا وأَنْتَ مُبْتَدَأٌ بوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَا يَكُونُ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَلَا تَأْخِيرٌ إِذْ رُتْبَةُ الْخَبَرِ أَنْ يَتَأَخَّرَ عَنِ الْمُبْتَدَأِ.

وَالثَّانِي: أَنْ لَا يَكُونَ فُصِلَ بَيْنَ الْعَامِلِ الَّذِي هُوَ أَراغِبٌ وَبَيْنَ مَعْمُولِهِ الَّذِي هُوَ عَنْ آلِهَتِي بِمَا لَيْسَ بِمَعْمُولٍ لِلْعَامِلِ، لِأَنَّ الْخَبَرَ لَيْسَ هُوَ عَامِلًا فِي الْمُبْتَدَأِ بِخِلَافِ كَوْنِ أَنْتَ فَاعِلًا فإن مَعْمُولُ أَراغِبٌ فَلَمْ يُفْصَلْ بَيْنَ أَراغِبٌ وَبَيْنَ عَنْ آلِهَتِي بِأَجْنَبِيٍّ إِنَّمَا فُصِلَ بِمَعْمُولٍ لَهُ"(١).

ثانيًا: في التفسير:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة: ١١ – ١٢].

قال أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: "وَفِي الْمَعْنَى الَّذِي اعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ مُصْلِحُونَ أَقْوَالٌ:

أَحَدُهَا: قول ابن عباس: أن مُمَالَأَتِنَا الْكُفَّارَ إِنَّمَا نُرِيدُ بِهَا الْإِصْلَاحَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَالثَّانِي: قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَهُوَ: أَنَّ تِلْكَ الْمُمَالَأَةَ هُدًى وَصَلَاحٌ وَلَيْسَتْ بِفَسَادٍ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ مُمَالَأَةَ النَّفْسِ وَالْهَوَى صَلَاحٌ وَهُدًى.

---

١) البحر المحيط (٧/٢٧٠).

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ فِي مُمَالَأَةِ الْكُفَّارِ صَلَاحًا لَهُمْ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفَّارَ لَوْ ظَفِرُوا بِهِمْ لَمْ يُبْقُوا عَلَيْهِمْ، وَلِذَلِكَ قَالَ: أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونُوا فَعَلُوا مَا نُهُوا عَنْهُ مِنْ مُمَالَأَةِ الْكُفَّارِ، وَقَالُوا: إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ بِاجْتِنَابِ مَا نُهِينَا عَنْهُ".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "وَالَّذِي **نَخْتَارُهُ** أَنَّهُ لَا يَتَعَيَّنُ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ، بَلْ يُحْمَلُ النَّهْيُ عَلَى كل فرد من أنواع الْإِفْسَادِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا ادَّعَوُا الْإِيمَانَ وَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ وَأَعْلَمَ بِأَنَّ إِيمَانَهُمْ مُخَادَعَةٌ"[1].

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٩].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: " وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي أَيِّهِمَا خُلِقَ قَبْلُ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: السَّمَاءُ خُلِقَتْ قَبْلَ الْأَرْضِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: الْأَرْضُ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَكُلٌّ تَعَلَّقَ فِي الِاسْتِدْلَالِ بِظَوَاهِرِ آيَاتٍ يَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَالَّذِي تَدُلُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ خَلْقَ مَا فِي الْأَرْضِ لَنَا مُتَقَدِّمٌ عَلَى تَسْوِيَةِ السَّمَاءِ سَبْعًا لَا غَيْرُ.

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالْمُخْتَارُ** أَنَّ جِرْمَ الْأَرْضِ خُلِقَ قَبْلَ السَّمَاءِ، وَخُلِقَتِ السَّمَاءُ بَعْدَهَا، ثُمَّ دُحِيَتِ الْأَرْضُ بَعْدَ خلق السماء، وبهذا يحصل الْجَمْعُ بَيْنَ الْآيَاتِ"[2].

ذكر الإمام أبو حيان هنا اختلاف أهل العلم في أيهما خلق أولًا السموات، أم الأرض.

---

١) البحر المحيط (١٠٨/١)

٢) البحر المحيط (٢١٩/١).

وبعد أن ذكر الأقوال قال: "والمختار ...." فعبر هنا بـــ "الاختيـــار" كمرداف لـــ "الترجيح".

٣- ترجيحه بلفظ: (الظاهر) ومشتقاته:

سبق بيان أن هذه اللفظة أكثر الإمام أبو حيان منها جدًا في ترجيحاته فهذه أكثر لفظة استعملها الإمام أبو حيان في ترجيحاته في كتابـــه "البحـــر المحيط" حتى زادت ترجيحاته بهذه اللفظة عن (١٠٠٠) تـــرجيحٍ، كقولـــه: (والظاهر، يظهر ...) وأغلب الترجيح بهذا بلفظ (الظاهر) ومشتقاته يستعمله الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في الترجيح بين أقوال المفسرين في تفسير الآية، ويستعملها بقلة في الترجيح بين أقوال أهل اللغة والنحو بخلاف الألفاظ الأخرى التي يستعملها في الترجيح فإن أغلبها في النحو واللغة.

أولًا: في اللغة:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢].

ثم قال رحمه الله تعالى فـــي التـــرجيح: "**وَالظَّـــاهِرُ** أَنَّ وَلا يَـــنْفَعُهُمْ مَعْطُوفٌ عَلَى يَضُرُّهُمْ، وَكِلَا الْفِعْلَيْنِ صِلَةٌ لِمَا، فَلَا يَكُونُ لَهَا مَوْضِـــعٌ مِـــنَ الْإِعْرَابِ. وَجَوَّزَ بَعْضُهُمْ أَنْ يَكُونَ لَا يَنْفَعُهُمْ عَلَى إِضْمَارِ هُوَ، أَيْ وَهُـــوَ لَـــا يَنْفَعُهُمْ، فَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، وَتَكُونُ الْوَاوُ لِلْحَالِ، فَتَكُونُ جُمْلَـــةً حَالِيَّـــةً، وَهَذَا ضَعِيفٌ"(١).

المثال الثاني:

في قوله تعـــالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦].

١) البحر المحيط (٥٣٤/١) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: " قَوْلُــهُ: "يَعْرِفُونَهُ"، جُمْلَةٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، إِمَّا مِنَ الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ فِي آتَيْنَاهُمْ، أَوْ مِنَ الثَّانِي الَّذِي هُوَ الْكِتَابُ، لِأَنَّ فِي يَعْرِفُونَهُ ضَمِيرَيْنِ يَعُودَانِ عَلَيْهِمَا".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالظَّاهِرُ** هُوَ الْإِعْرَابُ الْــأَوَّلُ، لِاسْتِقْلَالِ الْكَلَامِ جُمْلَةً مُنْعَقِدَةً مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ، وَلِظَاهِرِ انْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَ قَوْلِهِ: إِنَّكَ إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ"[1].

ثانيًا: التفسير:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ [البقرة: ٤١].

قال أبو حيان رحمه الله تعالى: "وَآمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ": ظَاهِرُهُ أَنَّهُ أَمْــرٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّ الْمَأْمُورِينَ قَبْلُ هُمْ، وَهَذَا مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ، فَظَاهِرُهُ اتِّحَادُ الْمَأْمُورِ. وَقِيلَ: أُنْزِلَتْ فِي كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَأَصْحَابِهِ، عُلَمَاءِ الْيَهُــودِ وَرُؤَسَائِهِمْ".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**والظَّاهِرُ** الْأَوَّلُ، وَيَنْدَرِجُ فِيــهِ كَعْبٌ وَمَنْ معه"[2].

المثال الثاني:

فــي قولــه تعــالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا

---

١) البحر المحيط (٣٢/٢) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

٢) البحر المحيط (٢٨٦/١) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٢)].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: " وَاخْتُلِفَ فِي كَيْفِيَّةِ تَلَقِّي ذَلِكَ الْعِلْمِ مِنْهُمَا، فَقَالَ مُجَاهِدٌ: هَارُوتُ وَمَارُوتُ لَا يُعَلِّمُ أَحَدًا، وَيَخْتَلِفُ إِلَيْهِمَا شَيْطَانَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ اخْتِلَافَةً وَاحِدَةً، فَيَتَعَلَّمَانِ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقَانِ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالظَّاهِرُ** أَنَّ هَارُوتَ وَمَارُوتَ هُمَا اللَّذَانِ يُبَاشِرَانِ التَّعْلِيمَ؛ لِقَوْلِهِ: وَمَا يُعَلِّمَانِ"(١).

٤- ترجيحه بلفظ: (الأَوْلى) ومشتقاتها كقوله: (والأولى، هو الأولى، أولى من) وستأتي أمثلتها.

أولًا: في اللغة:

المثال الأول:

في قوله تعالى:﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: "وَالْجُمْلَةُ مِنْ قَوْلِهِ: أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنَ النَّارِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا: فَاتَّقُوا، قَالَهُ أَبُو الْبَقَاءِ، وَفِي ذَلِكَ نَظَرٌ، لِأَنَّ جَعْلَهُ الْجُمْلَةَ حَالًا يَصِيرُ الْمَعْنَى: فَاتَّقُوا النَّارَ فِي حَالِ إِعْدَادِهَا لِلْكَافِرِينَ، وَهِيَ مُعَدَّةٌ لِلْكَافِرِينَ، اتَّقُوا النَّارَ أَوْ لَمْ يَتَّقُوهَا، فَتَكُونُ إِذْ ذَاكَ حَالًا لَازِمَةً. وَالْأَصْلُ فِي الْحَالِ الَّتِي لَيْسَتْ لِلتَّأْكِيدِ أَنْ تَكُونَ مُنْتَقِلَةً".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالْأَوْلَى** عِنْدِي أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ لَا مَوْضِعَ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، وَكَأَنَّهَا سُؤَالُ جَوَابٍ مُقَدَّرٍ كَأَنَّهُ لَمَّا وُصِفَتْ بِأَنَّ وَقُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ قِيلَ: لِمَنْ أُعِدَّتْ؟ فَقِيلَ: أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ"(٢).

المثال الثاني:

---

١) البحر المحيط (٥٣٠/١) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

٢) البحر المحيط (١٧٧/١) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: "كُلَّما رُزِقُوا"، تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى كُلَّمَا عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: كُلَّما أَضاءَ لَهُمْ، وَبَيَّنَّا كَيْفِيَّةَ التَّكْرَارِ فِيهَا عَلَى خِلَافِ مَا يَفْهَمُ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَالْأَحْسَنُ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ أَنَّ تَكُونَ مُسْتَأْنَفَةً لَا مَوْضِعَ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، وَأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ صِفَتُهَا كَذَا، هَجَسَ فِي النُّفُوسِ حَيْثُ ذُكِرَتِ الْجَنَّةُ الْحَدِيثُ عَنْ ثِمَارِ الْجَنَّاتِ، وَتَشَوَّقَتْ إِلَى ذِكْرِ كَيْفِيَّةِ أَحْوَالِهَا، فَقِيلَ لَهُمْ: كُلَّما رُزِقُوا مِنْها مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً، وَأُجِيزَ أَنْ تَكُونَ الْجُمْلَةُ لَهَا مَوْضِعٌ مِنَ الْإِعْرَابِ: نَصْبٌ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِهَا صِفَةً لِلْجَنَّاتِ، وَرَفْعٌ: عَلَى تَقْدِيرِ خَبَرِ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ. وَيَحْتَمِلُ هَذَا وَجْهَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُبْتَدَأُ ضَمِيرًا عَائِدًا عَلَى الْجَنَّاتِ، أَيْ هِيَ كُلَّما رُزِقُوا مِنْها، أَوْ عَائِدًا عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا، أَيْ هُمْ كُلَّمَا رُزِقُوا.

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالْأَوْلَى** الْوَجْهُ الْأَوَّلُ لِاسْتِقْلَالِ الْجُمْلَةِ فِيهِ لِأَنَّهَا فِي الْوَجْهَيْنِ السَّابِقَيْنِ تَتَقَدَّرُ بِالْمُفْرَدِ، فَهِيَ مُفْتَقِرَةٌ إِلَى الْمَوْصُوفِ، أَوْ إِلَى الْمُبْتَدَأِ الْمَحْذُوفِ"[1].

ثانيًا: التفسير:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٧].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: "أَوَلا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ": هَذَا تَوْبِيخٌ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، أَيْ إِذَا

١) البحر المحيط (١/١٨٤) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

كَانَ عِلْمُ اللَّهِ مُحِيطًا بِجَمِيعِ أَفْعَالِهِمْ، وَهُمْ عَالِمُونَ بِذَلِكَ، فَكَيْفَ يَسُوغُ لَهُمْ أَنْ يُنَافِقُوا وَيَتَظَاهَرُوا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْهُمْ خِلَافَهُ، فَلَا يُجَامِعُ حَالَةَ نِفَاقِهِمْ بِحَالَةِ عِلْمِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِذَلِكَ".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالْأَوْلَى** حَمْلُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ عَلَى الْعُمُومِ، إِذْ هُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ. وَقِيلَ الَّذِي أَسَرُّوهُ الْكُفْرُ، وَالَّذِي أَعْلَنُوهُ الْإِيمَانُ.

وَقِيلَ: الْعَدَاوَةُ وَالصَّدَاقَةُ. وَقِيلَ: قَوْلُهُمْ لِشَيَاطِينِهِمْ إِنَّا مَعَكُمْ، وَقَوْلُهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ آمَنَّا. وَقِيلَ: صِفَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَتَغْيِيرُ صِفَتِهِ إِلَى صِفَةٍ أُخْرَى، حَتَّى لَا تَقُومَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ"(١).

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٨٥].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: " وَالْخِزْيُ هُنَا: الْفَضِيحَةُ، وَالْعُقُوبَةُ، وَالْقَصَاصُ فِيمَنْ قُتِلَ أَوْ ضَرْبُ الْجِزْيَةِ غَابِرَ الدَّهْرِ، أَوْ قَتْلُ قُرَيْظَةَ وَإِجْلَاءُ النَّضِيرِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ إِلَى أَرِيحَا، وَأَذْرِعَاتٍ، أَوْ غَلَبَةُ الْعَدُوِّ، أَقْوَالٌ خَمْسَةٌ. وَلَا يَتَأَتَّى الْقَوْلُ بِالْجِزْيَةِ وَلَا الْجَلَاءِ إِلَّا إِنْ حَمَلْنَا الْآيَةَ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا مُعَاصِرِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالْأَوْلَى** أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ هُوَ الذَّمَّ الْعَظِيمَ وَالتَّحْقِيرَ الْبَالِغَ مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ"(٢).

---

١) البحر المحيط (٤٧٢/١) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

٢) البحر المحيط (٤٤٣/١) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

ترجيح الإمام أبي حيان بكلمة (والصحيح) ومشتقاتها:

أولًا: في اللغة:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى **في مسائل هذه الآية:** "وَتُلَخِّصُ مِنْ هَذَا أَنَّ عَطْفَ الْجُمَلِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ لَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ تتفق مَعَانِي الْجُمَلِ، فَعَلَى هَذَا يَجُوزُ عَطْفُ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ عَلَى الْجُمْلَةِ غَيْرِ الْخَبَرِيَّةِ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ فِيهَا اخْتِلَافٌ. ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ إِلَى اشْتِرَاطِ اتِّفَاقِ الْمَعَانِي".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالصَّحِيحُ** أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِشَرْطٍ، وَهُوَ مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ. فَعَلَى مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ يَتَمَشَّى إِعْرَابُ الزَّمَخْشَرِيِّ وَأَبِي الْبَقَاءِ"[1].

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: " وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: الْأَخُ فِي الدِّينِ يُجْمَعُ إِخْوَانًا، وَمِنَ النَّسَبِ إِخْوَةٌ، هَكَذَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالصَّحِيحُ** أَنَّهُمَا يُقَالَانِ مِنَ النَّسَبِ. وَفِي الدِّينِ"[2].

---

١) البحر المحيط (١/١٧٩) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

٢) البحر المحيط (٣/٢٨٨) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

ثانيًا: في التفسير:

المثال الأول:

في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [البقرة: ٤٦].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: " ويَظُنُّونَ مَعْنَاهُ: يُوقِنُونَ، قَالَهُ الْجُمْهُورُ، لِأَنَّ مَنْ وُصِفَ بِالْخُشُوعِ لَا يَشُكُّ أَنَّهُ مُلَاقٍ رَبَّهُ وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي مُصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ. وَقِيلَ مَعْنَاهُ: الْحُسْبَانُ، فَيُحْتَاجُ إِلَى مُصَحِّحٍ لِهَذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ مَا قَدَّرُوهُ مِنَ الْحَذْفِ، وَهُوَ بِذُنُوبِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ يَتَوَقَّعُونَ لِقَاءَ رَبِّهِمْ مُذْنِبِينَ".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالصَّحِيحُ** هُوَ الْأَوَّلُ"(١).

المثال الثاني:

في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النساء: ١٠٠].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: " وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ قِيلَ: نَزَلَتْ فِي جُنْدُبِ بْنِ ضَمْرَةَ وَتَقَدَّمَتْ قِصَّتُهُ قَبْلُ. وَقِيلَ: فِي ضَمْرَةِ بْنِ بَغِيضٍ.

وَقِيلَ: أَبُو بَغِيضٍ ضَمْرَةُ بْنُ زِنْبَاعٍ الْخُزَاعِيُّ. وَقِيلَ: خَالِدُ بْنُ حَرَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ أَخُو حَكِيمِ بْنِ حَرَامٍ خَرَجَ مُهَاجِرًا إِلَى الْحَبَشَةِ، فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ. وَقِيلَ: ضَمْرَةُ بْنُ ضَمْرَةَ بْنِ نُعَيْمٍ.

---

١) البحر المحيط (٦٩/٢) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

وَقِيلَ: ضَمْرَةُ بْنُ خُزَاعَةَ. وَقِيلَ: رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ هَاجَرَ فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ، فَسَخِرَ مِنْهُ قَوْمُهُ فَقَالُوا: لَا هُوَ بَلَغَ مَا يُرِيدُ، وَلَا هُوَ أَقَامَ فِي أَهْلِهِ حَتَّى دُفِنَ".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "**وَالصَّحِيحُ**: أَنَّهُ ضَمْرَةُ بْنُ بَغِيضٍ، أَوْ بَغِيضُ بْنُ ضَمْرَةَ بْنِ الزِّنْبَاعِ، لِأَنَّ عِكْرِمَةَ سَأَلَ عَنْهُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَصَحَّحَهُ"(١).

ترجيحه بقوله: (غير صحيح):

مثال:

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ [ص: ٧٥].

قال الإمام أبو حيان رحمه الله تعالى في مسائل هذه الآية: " ابْنُ عَطِيَّةَ: وَذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّحْوِيِّينَ إِلَى أَنَّ أَمْ لَا تَكُونُ مُعَادِلَةً لِلْأَلِفِ مَعَ اخْتِلَافِ الْفِعْلَيْنِ، وَإِنَّمَا تَكُونُ مُعَادِلَةً إِذَا دَخَلَتَا عَلَى فِعْلٍ وَاحِدٍ، كَقَوْلِكَ: أَزَيْدٌ قَامَ أَمْ عَمْرٌو؟ وَقَوْلُكَ: أَقَامَ زَيْدٌ أَمْ عَمْرٌو؟ فَإِذَا اخْتَلَفَ الْفِعْلَانِ كَهَذِهِ الْآيَةِ، فَلَيْسَتْ مُعَادِلَةً. وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَحَدَثَ لَكَ الِاسْتِكْبَارُ الْآنَ، أَمْ كُنْتَ قَدِيمًا مِمَّنْ لَا يَلِيقُ أَنْ تُكَلَّفَ مِثْلَ هَذَا لِعُلُوِّ مَكَانِكَ؟ وَهَذَا عَلَى جِهَةِ التَّوْبِيخِ. انْتَهَى".

ثم قال رحمه الله تعالى في الترجيح: "وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّحْوِيِّينَ مَذْهَبٌ **غَيْرُ صَحِيحٍ**. قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَتَقُولُ أَضَرَبْتَ زَيْدًا أَمْ قَتَلْتَهُ. فَالْبَدْءُ هُنَا بِالْفِعْلِ أَحْسَنُ، لِأَنَّكَ إِنَّمَا تَسْأَلُ عَنْ أَحَدِهِمَا، لَا تَدْرِي أَيُّهُمَا كَانَ، وَلَا تَسْأَلُ عَنْ مَوْضِعِ أَحَدِهِمَا، كَأَنَّكَ قُلْتَ: أَيُّ ذَلِكَ كَانَ؟

انْتَهَى. فَعَادَلَ بِأَمِ الْأَلِفَ مَعَ اخْتِلَافِ الْفِعْلَيْنِ"(٢).

---

١) البحر المحيط (٤٤/٤) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

٢) البحر المحيط (١٧٥/٩) كلام أبي حيان كله في هذا المثال في نفس الإحالة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنوره تشرق الأرض والسماوات، فقد وصل الباحث إلى غايته، وأبرز منهج الإمام أبي حيان في الترجيحات الفقهية، وسمات هذا المنهج، وتميزه عن غيره من المفسرين في تبيان المنهج المنوط به، ومنهج البحث في ترجيحات الإمامِ يُجلِّي للباحثين طَريقتَه في التَّفقُّه، ومنهجَه العِلمي في الفتوى والاسْتِنبَاط، لا سيَّما وأنَّه قد جمعَ بين عِلمَي الحديثِ والفِقهِ، وبَرَزَ حرصُه في الترجيح المُستَنِدِ على الدَّليل، ونقدِ النُّقول، وتحقيق الأقوالِ مع اليُسرِ في العبارة، والبُعدِ عن التَّكلُّف والتَّعقيد، واهتمام الفُقَهاء –على اختلاف مذاهبهم، في سائرِ الأزمان– بنَقْلِ فِقه الإمام أبي حيان، مما يدلُّ على أهميَّتِها ومكانتها العِلمية، شأنُها شأنُ صاحبِها الإمامِ ابنِ الْمُلقِّن رحمه الله؛ حيث يُعَدُّ مُجتهِدًا مُستنِدًا إلى الدَّليل، يُخالف في بعضِ مَسائلِه رأيَ الإمامِ وما عليه المعتَمَدُ من المذهبِ.

ثبت المصادر والمراجع

١- أعيان العصر وأعوان النصر، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: الدكتور علي أبو زيد، الدكتور نبيل أبو عشمة، الدكتور محمد موعد، الدكتور محمود سالم محمد قدم له: مازن عبد القادر المبارك، قدم له: مازن عبد القادر المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م عدد الأجزاء: ٥.

٢- لأنساب، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م.

٣- البحر المحيط، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

٥- غية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية – لبنان / صيدا، عدد الأجزاء: ٢.

٦- التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١.

٧- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ٨,

٨- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ)، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، عدد الأجزاء : ٢.

٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، عدد الأجزاء: ٦.

١٠- ديوان الإسلام، المؤلف: شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: ١١٦٧هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

١١- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، عدد الأجزاء: ٢.

١٢- ذيل تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (المتوفى: ٧٦٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١.

١٣- الرد الوافر، المؤلف: محمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣، عدد الأجزاء: ١.

١٤- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: ١٨.

١٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ١١.

١٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م عدد الأجزاء: ٦.

١٧- التراجم والطبقات، الكتاب: طبقات الفقهاء الشافعية، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، المحقق: محيي الدين علي نجيب، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٢م، عدد الأجزاء:٢.

١٨- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ عدد الأجزاء: ١٠.

١٩- طبقات المفسرين العشرين، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٦، عدد الأجزاء:١.

٢٠- غاية النهاية في طبقات القراء، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر، عدد الأجزاء: ٣.

٢١- فوات الوفيات، المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى،الجزء: ١ – ١٩٧٣ الجزء: ٢، ٣، ٤- ١٩٧٤، عدد الأجزاء: ٤.

٢٢- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، المؤلف: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ – ٩٤٧ هـ)، عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، الناشر: دار المنهاج – جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٦.

٢٣- الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، المؤلف: لسان الدين بن الخطيب، محمد بن عبدالله (المتوفى: ٧٧٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الطبعة: الأولى، ١٩٦٣، الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان.

٢٤- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج

نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٢,

٢٥- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، سنة النشر: عدد الأجزاء: ١.

٢٦- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥.

٢٧- مجمل اللغة لابن فارس، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ٢.

٢٨- معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٧.

٢٩- معجم الشيوخ الكبير للذهبي، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢.

٣٠- المعجم المختص بالمحدثين، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ١.

٣١- عجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٢.

٣٢- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: ٦.

٣٣- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ١.

٣٤- المعين في طبقات المحدثين، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: د. همام عبد الرحيم سعيد، الناشر: دار الفرقان - عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤، عدد الأجزاء: ١.

٣٥- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد الأجزاء: ٧.

٣٦- فح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت – لبنان ص. ب ١٠
الطبعة: الجزء: ١ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠ الجزء: ٢ – الطبعة: ١، ١٩٩٧ الجزء: ٣ – الطبعة: ١، ١٩٩٧ الجزء: ٤ – الطبعة: ١، ١٩٩٧ الجزء: ٥ – الطبعة: ١، ١٩٩٧ الجزء: ٦ الطبعة الأولى ١٩٦٨ طبعة جديدة ١٩٩٧ الجزء: ٧ – الطبعة: ٠، ١٩٠٠ عدد الأجزاء: ٨.
٣٦- الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.
٣٧- تقي الدين محمد بن هجرس بن رافع السلامي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: صالح مهدي عباس ، د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢، عدد الأجزاء: ٢.